سوريتنا

«عندما يقرر العبد أن لا يبقى عبدا فإن قيوده تسقط»
غاندي

صفحتنا على فيس بوك:
www.facebook.com/souriatna
souriatna@gmail.com souriatna.wordpress.com

سوريتنا | السنة الأولى | العدد (17) | 15 /1/ 2012 | أسبوعية | تصدر عن شباب سوري حر

في هذا العدد

الافتتاحية 1
سوريا ولادة
أخبارنا 3-2
أوجاع وطن 3
الثورة السورية
الملف ..... 5 - 4
اليسار السوري (2)
كلمة في الثورة 6
ثائر في المهد
من الربيع العربي 7
من مذكرات يوم في نواكشوط
نبض الروح 8
دندنات إندساسية 9
من ذاكرة المعتقلات 10
يا نحن 11
مدننا الثائرة 12
من أعمدة الصحافة 13
الصفحة القانونية 14
وجوه من وطني 15
حبر ناشف 17
قراءة في كتاب 18
الأسد والصراع على الشرق الأوسط

سوريا .. ولّادة

أخطأ كثيراً مدعوو فخامة (الرئيس) في مواضع التصفيق والابتهاج بخطابه الأخير، ففي زحمة عبثه بألفاظ العروبة والشرف والمقاومة والممانعة، مرر انتقاداً لاذعاً لما أسماه: (الواقع المزري للعرب) بما فيه لجنة المراقبين، الذي ألغى أي مغزىً لمهمتهم في سوريا، ، والمؤامرة (الكبيرة) على شرف العرب التي تقوم برعاية الغرب ومنتفعيه (على حد قوله)، ناهيك عن إنكارٍ أعمى لواقع الشعب السوري التوّاق للحرية، وتكريساً لقوقعته التي يعيش فيها، ومغرداً خارج سرب الواقع..

نتيجة التأمل والتفكير الطويل، عند فخامته، قبل أن يتحفنا بهذا الخطاب، أن يصف أكثر من 500 مدينة وبلدة وقرية عمتها التظاهرات المطالبة بالحرية، بأنها بؤر، ستطالها يد الحديد والحديد، مسبغاً عبارات المديح على زعرانة وشبيحته، بيت سره، معطياً إياهم كلمة السر للإمعان في ممارساتهم الوحشية، واغتيالهم الأعمى لكل ما هو جميل على أرضنا..

عشرة شهور قتلاً وتشريداً واعتقالاً، لم تقنع هذا السفاح بأن سوريا ثائرة، على خوفها، قبل أي شيء أخر، يصر بغباء على المؤامرة، وعلى التمرد المتطرف، الذي أبعد ما نكون عنه، حتى بأقصى يميننا ويسارنا..

لم يستطع رؤية الربيع المتفتح من دم سوريا، ومن أرواح أبنائها المحلقة إلى بارئها..

كم ثقيلة هي على مسمعك كلمات مثل الحرية والكرامة..

اعتقدت أنك الوحيد الأزلي القادر على حكم هذه الأرض الطاهرة.. فهل سدت أرحام أمهاتنا؟؟ هل انقطع نسل السوريين؟؟..

اعتقلت، وعائلتك، أحلامنا بما يكفي.. طالت السنوات العجاف كثيراً، ظلماً وذلاً ورعباً وقهراً..

هو ربيع سوري.. ربيع يسبقه شتاء قاس، يسقي تراب أوطاننا، ويعطيها دم الحياة لبذور حريةً ترسم أسس مستقبلنا..

ربيع، ينير موسم أمنيات وأمل.. وحناجر الأحرار.. يمسح ضباب مدننا، الذاهب للانقشاع، ملوحاً بمواسم يغوص فيها الخوف بعيداً.. حلمنا هو ما نراه.. عيوننا تفتحت بعد إغماض طويل..

نعم، صحيح أن الوضع في سوريا مقبل على مزيد من القتل والدم، والمزيد من الانهيار الاقتصادي.. لكن، فخامتك، اعلم: أن سوريا جديدة قد ولدت فعلاً.. واعلم أنها ولاّدة.. وتأكد أكثر: أن الشعب السوري ما بينذل...

سوريتنا

اعتقال أكثر من 69 ألف شخص منذ اندلاع الثورة

تقرير جديد لمنظمة عالمية: أكثر من 617 معتقلاً بسوريا قضوا تحت التعذيب

نشرت المنظمة العالمية للحملات "آفاز" تقريراً جديداً عن تعذيب المعتقلين والناشطين في السجون والمعتقلات التابعة للنظام السوري.

وبحسب "آفاز" فإن عدد القتلى الذين قضوا تحت التعذيب، منذ بدء الثورة السورية في 15 مارس 2011 بلغ 617 شخصاً.

وكشف التقرير عن حجم كبير من الرعب والتعذيب في المعتقلات والسجون التابعة للنظام السوري بحسب المنظمة العالمية للحملات "آفاز"، في وقت لاتزال فيه بعثة المراقبين العرب تتابع عملها على الأرض.

وتقول "آفاز" إن أجهزة الأمن مستمرة باعتقال المواطنين المعارضين للنظام، حيث يتعرض معظمهم للتعذيب داخل مراكز الاعتقال المكتظة من السجون إلى مراكز الاعتقال غير الشرعية من بينها المدارس.

وتحدثت "آفاز" عن روايات، وفي ظل الأحداث التي تشهدها الساحة السورية، تجسّد الرعب الناجم عن التعذيب داخل المعتقلات، وظروف المعاناة القاسية التي يعيشها المتظاهرون، حتى إن الأطفال لم يسلموا من التعذيب، بل إن تعذيبهم في درعا كان سبباً بتفجير الثورة السورية، حسب الناشطين.

وأكدت المنظمة مع عدد من المنظمات الحقوقية الأخرى الفاعلة على الأرض، أن ما يزيد على 617 شخصاً قتلوا تحت التعذيب على يد قوات الأمن منذ بدء الثورة التي قتل فيها ما لا يقل عن 6874 شخصاً، وأسفرت عن اعتقال ما يزيد على 69 ألف شخص، كما لا يزال أكثر من 37 ألفاً منهم رهن الاعتقال إلى الآن.

وقد تحدث معتقلون سابقون عن ظروف اعتقالهم وأساليب تعذيبهم، بأنها تبدأ من الصعق بالكهرباء وإصابة المناطق الحساسة وإزالة أظافر اليدين والقدمين وتعليق السجين من اليدين متدلياً من السقف والضرب المبرح على الرأس وإطفاء السجائر في الجسم إلى حرمان السجين من النوم أياماً عدة.

يُذكر أن المنظمات الحقوقية داخل وخارج سوريا، تستغل وجود بعثة المراقبين العرب لمطالبتهم بزيارة مراكز الاعتقال والتعذيب، وتقديم الضمانات الفورية من أجل إنهاء حالة العنف الجارية وحقن الدماء.

500 نقطة تظاهر في أكثف مظاهرات خلال جمعة "دعم الجيش الحر"

أفادت الهيئة العامة للثورة السورية، أن عدد المظاهرات يواصل صعوده خلال أيام الجُمع، وهو الرقم الأعلى لعدد المظاهرات مع اقتراب التحركات الاحتجاجية المطالبة بالديمقراطية والحرية من شهرها العاشر منذ انطلاقتها في 15 مارس/آذار من العام الماضي، فيما عزت بعض المصادر تزايد المظاهرات في بعض المناطق، إلى فقدان قوات الأمن والجيش السيطرة عليها.

وأوضح تقرير للهيئة العامة، أنها سجلت 498 نقطة تظاهر يوم أمس الجمعة التي أطلق عليها المتظاهرون "جمعة دعم الجيش الحر"، موثقة بمقاطع من الفيديو، مقارنة بـ429 نقطة تظاهر سجلت الجمعة قبل الماضية.

وأشارت الهيئه العامة، إلى أنه بالرغم من البرد القارس في كثير من المناطق، إلا أن الثوار والمجالس الثورية في مختلف المحافظات، استجابوا لدعوات التظاهر.

وبلغ عدد المظاهرات التي خرجت أمس في مدينة إدلب وريفها شمال سوريا وحدها 131 تظاهرة، وهي الأعلى في سوريا، بعد خروج جميع بلدات وقرى ريف إدلب في مظاهرات مطالبة بإسقاط النظام السوري الحاكم، فيما سجلت حماة خروج 72 مظاهرة أمس الجمعة، سقط خلالها طفل واحد.

وأشارت الإحصائية إلى اتساع نقاط التظاهرات في حلب التي تشهد تصاعداً ملحوظاً في وتيرة الاحتجاجات ضد الرئيس السوري، حيث خرجت أمس 45 مظاهرة، وهو الرقم الأعلى بالنسبة لحلب التي شهدت خروج 41 مظاهرة خلال يوم الجمعة قبل الماضية حسب وصف الهيئة العامة.

ووفقاً للهيئة، فقد خرجت مختلف مدن وقرى حوران جنوب سوريا في مظاهرات يوم أمس الجمعة، في حين شهدت محافظة حمص 60 مظاهرة رغم التواجد الأمني والحصار.

ولم تشهد محافظات الرقة والقنيطرة وطرطوس مظاهرات خلال يوم أمس، فيما انطلقت 19 مظاهرة في اللاذقية على الساحل السوري رغم التواجد المكثف لقوات الأمن.

ولفت المصدر إلى سقوط 26 شهيدا خلال المظاهرات التي خرجت الجمعة ،بينهم أربعة أطفال وامرأة و10 مجندين قامت قوات الأمن بتصفيتهم إثر محاولتهم الانشقاق عن الجيش.

وأوضح أن ثمانية جنود سقطوا في سراقب في إدلب، فيما سقط جندي واحد على أيدي قوات الأمن والجيش في كل من رنكوس بريف دمشق والحسكة شرق البلاد.

وأضاف أن 4شهداء بينهم طفل سقطوا في إدلب، وخمسة في حمص، وثلاثة في ريف دمشق، واثنان في حلب، وشخص واحد لقي مصرعه في كل من حماة.

وعزا نشطاء سوريون تزايد عدد نقاط التظاهر في مناطق عدة في سوريا، إلى فقدان السيطرة الأمنية على تلك المناطق، وقال بعضهم، إن مدن إدلب وبعض أحياء حمص ومدينة الزبداني في ريف دمشق، تشهد مظاهرات حاشدة وعدد أقل من القتلى بعد سيطرة الجيش الحر ومسلحين مدنيين على تلك المناطق، وحماية المتظاهرين من هجمات قوى الأمن.

الإعلاميون الفرنسيون الثلاثة مرافقو جيل يؤكدون مسؤولية النظام السوري عن مقتله

عرضت يوم الجمعة 13 يناير / كانون الثاني 2012 في نشرة إخبار الساعة الثامنة مساءاً قناة فرانس 2 التي كان الصحفي جيل جاكييه الذي قتل بحمص منذ يومين يعمل لحسابها .....مقابلة مع الإعلاميين الثلاثة الذين كانوا يرافقونه في حمص , والثلاثة اجمعوا على أنهم كانوا يدفعون دفعا للاتجاه نحو مكان الحادث بدقة وان مرافقتهم من قوات النظام السوري قد اختفوا مباشرة عندما بدأ الهجوم ويمكنكم الاستماع لشهاداتهم عند الدقيقة العشرون من هذا الفيديو بالفرنسية .

كما اعتبرت مناقشة أجرتها قناة فرانس 24 وشارك بالحوار المصور الصحفي في وكالة بلقيس عمار عبد ربه (شقيق وضاح عبد ربه رئيس تحرير صحيفة الوطن التابعة لرامي مخلوف) وذكر بان أربعة قذائف سقطت عند وصول الوفد لم يسقط قذائف قبل ولم يسقط قذائف بعد وان قتل جيل هو اغتيال ورسالة من بشار الأسد للعالم الخارجي ولوسائل الإعلام الأجنبية بأننا سنعطيكم تأشيرات دخول ولكن الباقي غير مضمون وتندرج ضمن باب الانتقام من كل مهاجمي النظام باعتبار فرنسا تتصدر المواقف من النظام .

فنانو ومبدعو سوريا يساندون الثورة

عبر عدد من فناني ومبدعي سوريا عن مساندتهم للشعب السوري، وعن رفضهم التام لكل أشكال العنف والقمع والتعذيب التي يستخدمها نظام الرئيس بشار الأسد في حق المدنيين العزل، وذلك من خلال تأسيسهم لـ"تجمع فناني ومبدعي سوريا من أجل الحرية".

وتم رسميا الإعلان عن تأسيس هذا التجمع الفني في تونس ضمن فعاليات أيام قرطاج المسرحية (6-13 كانون الثاني) تحت شعار "المسرح يحتفي بالثورة"، وذلك بمشاركة عدد من الفنانين السوريين والعرب والأفارقة.

وعبر الفنانون التونسيون عن مساندتهم لهذا التجمع الفني الذي يعكس وحدة الفنانين السوريين وإيمانهم بدورهم في الثورة السورية، وهو ما أوضحه المسرحي التونسي عز الدين قنون الذي أكد على ضرورة الوقوف إلى جانب الشعب السوري ومساندته لنيل حريته.

وأوضح الممثل والمخرج المسرحي السوري رمزي شقير، الذي أشرف مع إدارة مهرجان أيام قرطاج المسرحية على تنظيم الإعلان عن هذا التجمع الفني، أن "هذه البادرة الفنية حظيت بتفاعل كبير من الفنانين التونسيين والسوريين أيضا، مشيراً إلى أن "من المتوقع أن ينضم فنانون سوريون آخرون إلى هذا التجمع في الأيام القادمة".

وقال شقير للجزيرة نت، إن فكرة التأسيس "قام بها فنانون ومبدعون داخل سوريا خلال الفترة الماضية"، وأضاف أن هذا التجمع نابع من وعي الفنانين بما يحدث في سوريا، وتأكيدهم على ضرورة وقف القتل والعنف وإنهاء قمع السلطة للشعب، ولمطالبة النظام بالكف عن استخدام آلاته الوحشية ضد الشعب السوري".

وبيّن أنه اقترح على التجمع الذي هو عضو فيه أن تتم كتابة بيان تأسيسي وأن يعلن بشكل رسمي عنه خلال أيام قرطاج المسرحية.

وقد تمت صياغة البيان من قبل السينمائيين أسامة محمد وهيثم حقي، والفنانين سميح شقير وفارس الحلو مع مجموعة من الحقوقيين، "الذين صاغوا بيانا يليق بالفنان السوري وبوقفته مع ثورة الشعب".

وأفاد شقير الذي لم يزر سوريا منذ أكثر من سنة، أنه تم تسليم نسخة من البيان لمدير أيام قرطاج المسرحية، وحيد السعفي لتحفظ كوثيقة رسمية في هذا المهرجان المسرحي.

ويبلغ عدد الموقعين على البيان حوالي 225 فناناً سوريا، بين ممثلين وسينمائيين ومسرحيين وكتاب وصحافيين وتشكيليين، وجاء في البيان الذي -حصلت الجزيرة نت على نسخة منه- أن "النظام الأمني الفاسد الذي أطلق الرصاص وقتل المدنيين العزل، ثم أطلق الإصلاح فقتل الآلاف، لا يستطيع إصلاح أجساد القتلى، وإعادة الحياة إليها...".

وأشار البيان إلى أن السلطة السورية انتهكت حق التعبير بالمنع والرقابة، واستخدمت وسائلها للقمع والقتل والتعذيب وضرب الفنانين والمبدعين، فـ"ذبحت غياث مطر، وانتزعت حنجرة القاشوش، واقتلعت عيني فرزات يحيى جربان، ومثلت بجسد الطفل حمزة، واخترق الرصاص جسد الطفلة هاجر".

كما اعتبر المبدعون والفنانون السوريون الذين وقعوا هذا البيان أنهم لا يستطيعون إعادة الشهداء للحياة لكنهم يستطيعون تمجيد الحياة بالعمل مع السوريين لبناء وطن جديد.

وذكر الفنان عز الدين قنون أن الإعلان عن تأسيس هذا التجمع في تونس هو مواصلة لنشاطات "مسرح الحمراء" الذي فتح أبوابه لمنابر السياسة والثقافة السياسية بعد الثروة التونسية.

واعتبر قنون أن أهم النقاط التي تطرق لها البيان تتمثل في وقف القمع والقتل الذي يقوم به نظام الأسد ضد الشعب السوري، ومساندة كل الفنانين والأحرار من المبدعين للشعب السوري، وتوجيه نداء مساندة من الداخل والخارج.

وبيّن أن المساندة من الخارج لا تعني التدخل الأجنبي الذي يرفضه السوريون، بل تعني مآزرة الشعب السوري إلى أن تنفرج أزمته.

وذكر قنون أن الفنان له دور مهم في هذه المرحلة، فهو يجب أن يكون الضمير الواعي للشعب وللمجتمعات، و"يلعب دور السلطة المضادة وأن يكون يقظاً حتى لا يكرس دكتاتوريات قائمة أو أخرى جديدة".

قيادي في "الجيش الحر": شبيحة نظام الأسد يبيعوننا أسلحتهم بأسعار مرتفعة

أكد ضابط قيادي رفيع في "الجيش السوري الحر" أن إمكانات الجيش المادية ضعيفة جدا وتأتي في معظمها من مواطنين سوريين في غياب أي دعم خارجي سياسي أو مادي.

وقال الضابط الذي رفض الكشف عن اسمه، لصحيفة "الشرق الأوسط" اللندنية، "لو كانت إمكاناتنا كبيرة كان الوضع على الأرض قد اختلف كثيرا وكنا أسقطنا النظام".

وفي حين لفت القيادي إلى أن الأسلحة الموجودة لديهم خفيفة أي من نوع "آر بي جي" و"كلاشنكوف"، قال "نحصل على هذه الأسلحة عن طريق المنشقين الذين يهربونها معهم أو تلك التي نحصل عليها إثر الغارات التي ينفذونها ضدنا ونشتري قسما كبيرا من أسلحتنا من شبيحة النظام لا سيما من ضباط كتائب الأسد وعدد منهم يعارضون النظام ولكنهم لا يجرؤون على إعلان ذلك".

وأضاف أن عملية بيع هذه الأسلحة تخضع لما يمكن تسميته بـ"السوق السوداء".

وتابع "يقومون باستغلالنا وبيعنا أسلحتهم بأسعار مرتفعة جدا إذ نشتري الـ«آر بي جي» الواحد بـ500 دولار أمريكي والـ"كلاشنيكوف" بألفي دولار".

وأردف "قد نفتح باب التطوع قريباً، لا سيما أن هناك عدداً كبيراً من العائلات السورية التي تمتنع عن إرسال أبنائها إلى الجيش للخدمة العسكرية في ظل الوضع الحالي ويطلبون منا السماح لهم الانخراط بالجيش الحر".

ومضى بالقول "لا نزال نحرص ونعمل للوصول إلى سورية حرة وديمقراطية مدنية لذا رفضنا ولا نزال نرفض، العمل مع تنظيمات عدة قال عناصرها إنهم مستعدون للجهاد في سورية".

الثورة سورية

■ حسين حلاق

عبر كافة مراحل التاريخ الإنساني لم تكن هناك ثورة شارك فيها الشعب بأكمله، على الأقل ليس في البداية. هناك دائماً أبطال يحملون رايات الحرية ويمهدون الطريق أمام البقية وذلك في كل مجال إنساني، سواءً كان علمياً أو عملياً أو حياتياً أو أخلاقياً أو دينياً.

ولن تجد هؤلاء الأبطال يتململون من الشعب أو يصفونهم بالأوصاف التي نسمعها في الإعلام المعارض أو بين التجمعات عن تجريم الصمت وتورط تلك الطائفة وتواطؤ تلك المدينة وتباطؤ فئات معينة من الشعب، بل تجدهم يحملون الراية ويتابعون المشي باتجاه هدفهم وكلهم ثقة أن البقية ستلحق بهم.

الناس مختلفون في طبعهم وبينما هنالك من يهبون فوراً لنصرة القضية التي يؤمنون بها، يحتاج الكثير إلى وقتٍ أكثر. هذه هي الحقيقة الإنسانية والصورة التي خلقنا عليها الله سبحانه وتعالى وهي ضرورية لننجح في حياتنا فنحن بحاجة للتنوع والاختلاف في الآراء والطباع.

العلويون واقعون تحت الاضطهاد والحرمان مثل غيرهم، وإن كانت النسبة الأكبر من أتباع النظام منهم، فهو ليس لأنهم علويين، بل لأن النظام لعب ورقة الطائفية ليضمن بقائه، لا لمصلحة الطائفة، بل لمصلحة النظام أولاً وأخراً، فالنظام وحده هو من ربط مصيره بمصير الطائفة وربط مصير الطائفة بمصيره وبطش بكل من اعترض منهم.

لعب النظام هذه اللعبة بذكاء، فاستخدم آلته الإستخباراتية والعسكرية كي يحذرهم من الموت القادم على يد الثورة، فالثورة سنية وهي ضد العلوية، كما فعل مع المسيحيين فالثورة إسلامية، ولا شك فعل مع السنة المؤيدين له فالثورة سلفية ومع التجار فالثورة اشتراكية! لعبة مازال يلعبها مع كافة الطوائف والفئات منذ استلامه للسلطة: «إن النظام سقط فمصيرهم الموت أو خسارة امتيازاتهم وأعمالهم، وإن هم عارضوا فمصيرهم السجن لأن النظام قوي وهو سينجو من هذه المؤامرة الاستعمارية الإمبريالية الإسلامية السلفية الإسرائيلية الإرهابية المندسة!!»..

بعضهم لا شك اعترض فتم إسكاته، والبعض صمت حرصاً على حياته، والبعض صدق فحمل السلاح.

لنكن صادقين مع أنفسنا، أربعون عاماً وجميع الطوائف صامتة، أربعون عاماً ومرجعيات الطوائف كلها تهتف إلى الأبد وتبارك حافظ ومن ثم بشار وتكاد تجعله إلهاً، أربعون عاماً والنظام يبطش بنا جميعاً وسجونه مليئة بالسوريين من جميع الطوائف بلا استثناء، أربعون عاماً والنظام وأعوانه من جميع الطوائف يشربون الدم السوري الطاهر على العشاء مع قطعة ستيك من لحم سوريا مشوية على نار هادئة.

لا يحق لأي طائفة أن تختطف الثورة وتدعي أنها ملك لها، وتسقط كلمة بطل عمن يدير ظهره للجلاد كي يحاضر في الشعب عن مبادئ الثورة والحرية، تسقط كلمة ثوري يشير بإصبع إلى أي فئة فئات الشعب كما فعل النظام سنينا من قبله.

الثورة سورية والدم المسفوك سوري ومن دافع عن سوريا عبر العصور سوريين.

اليســـار الســـوري (2)

الحزب الشيوعي السوري من الانفصال حتى عام 1963

■ ياسر مرزوق - ليلى السمان

صعد الحزب حملاته المعادية لسياسة الجمهورية العربية المتحدة وقد ساقه عداؤه للوحدة ولعبد الناصر إلى أن يقف معارضاً لقرارات ذات طابع شعبي مثل الإصلاح الزراعي، والتأميم.

نقلاً عن "ظهير عبد الصمد": "إن الكره للوحدة ولعبد الناصر دفعنا للوقوف مع الرجعية والبرجوازية ضد التأميم والإصلاح الزراعي"، وصرح "بكداش" لصحيفة الأخبار اللبنانية (العدد 352 لعام 1960): "من الواضح تماماً أن الوحدة قد تمت من أجل استعمار سوريا طبقاً لمشروع البرجوازية المصرية".

وانسجاماً مع هذه السياسة أيد الحزب على الفور الانفصال في 28 أيلول عام 1961 إذ أبرق بكداش في اليوم نفسه يهنئ الكزبري باستقلال سوريا وأصدر الحزب بياناً تحت عنوان "ضد الاستعمار والتحكم الفرعوني" وقد حرص الشيوعيون على أن يصطفوا إلى جانب البرجوازية بل وراءها حرصاً على وحدة القوى المعادية للشارع الوحدوي لذا عندما ألفت حكومة معروف الدواليبي أيدها الشيوعيون بلسان بعض قادتهم.

عام 1962 عاد الحزب لتنظيم صفوفه إلا أنه مع دعمه للعهد الانفصالي فإن هذا الأخير لم يسمح لبكداش بالعودة إلى دمشق كي لا يستثير الشارع الوحدوي فبرز في هذه الأثناء "يوسف فيصل" كقائد فعلي للحزب.

مع انقلاب الثامن من آذار والذي أتى تحت شعار "محاربة الانفصال وإعادة الوحدة" والذي كان فيه للناصريين السطوة على الشارع، ولم يبرز الدور البعثي بعد، بدا الشيوعيون وكأنهم يواجهون حالة موت سياسي، ولم يخرجهم من هذا المأزق التاريخي سوى الانقسام الناصري البعثي الذي ترك هامشاً للحزب ليلتقط أنفاسه، واقتربت خطواته من البعث، بقدر ابتعاد الأخير عن الوحدة، كما لم يتردد الحزب الشيوعي في إظهار عدائه لتيار القيادة القومية في صراعه مع تيار اللجنة العسكرية بقيادة صلاح جديد والذي انتهى الأمر لصالحه عام 1966.

في العام نفسه دخل وزارة "يوسف زعين" وزيراً شيوعياً وهو "سميح عطية" بصفته الشخصية كوزير للواصلات ولم تتعامل معه السلطة كممثل للحزب الشيوعي، وإن كانت سمحت لبكداش بالعودة إلى دمشق ومنذ ذلك التاريخ فتح الطريق للتحالف بين الشيوعيين وسلطة البعث.

بعد عام 1967 دخلت الحزب دماء جديدة بتأثير مفاعيل الهزيمة وبروز الدعم السوفييتي للعرب، فأصبح رياض الترك سكرتير منطقة حمص ومراد يوسف سكرتير منطقة العاصمة، وفي عام 1969 انعقد المؤتمر الثالث للحزب الذي شهد حوارات واسعة تمحورت حول أخطاء بكداش بجوٍ يوحي باحتمال تغيير الأمانة العامة، ولم يُنتَخَب بكداش أميناً عاماً إلا على أساس الوعود التي قطعها أمام اللجنة المركزية على أنه سوف ينسجم مع الروح الجديدة على أساس العمل الجماعي وفي إطار هيئات الحزب وانتُخِبَ المكتب السياسي بعضوية بكداش، يوسف فيصل، رياض الترك، دانيال نعمة، عمر قشاش، ظهير عبد الصمد، ابراهيم البكري، إلا أن هذا الاتفاق لم يكن إلا غطاءً لانقسام شديد في الحزب حول القضايا القومية العربية وقضايا التنظيم وقيادة خالد بكداش والعلاقة مع السلطة، فنشأ تياران في الحزب يمثل ظهير عبد الصمد أحدهما وآخر يمثله بكداش ورفاقه، عمق هذا الخلاف انقلاب 1970 وتردد قسم من الفريق المناوئ لبكداش في الاشتراك في الجبهة الوطنية التقدمية، ما كان من بكداش وبعد هذا الانقسام الشرس إلا أن أصدر بيان 3 نيسان أخرج فيه إلى العلن الانقسام داخل الحزب وحاول أن يستعدي السوفييت والسلطة السورية على الآتجاه الآخر، وظهر الصراع إلى العلن بين المكتب السياسي وجماعة بكداش المدعوم بشدة من السوفييت.

في 28 تشرين الثاني 1973 عرض دانيال نعمة وظهير عبد الصمد اتفاقية توحيدية تقبل بمبدأ المناصفة في الهيئات بين التيارين فرفضت أكثرية الجناح السياسي هذه الصيغة وهكذا ٪15 من الأعضاء المنضوين تحت جناح المكتب السياسي ومن حينه تكرس الانفصال بين الطرفين وذهب كل منهما لعقد مؤتمره الخاص.

المكتب السياسي.. رياض الترك ورفاقه

عقد الحزب الشيوعي "المكتب السياسي" مؤتمره في كانون الأول عام 1973 وانتخب المؤتمر أعضاء اللجنة المركزية: رياض الترك، واصل فيصل، بدر الطويل، عمر قشاش، ميشيل عيسى، يوسف نمر وآخرون، واستمرت علاقة الحزب مع الجبهة الوطنية التقدمية واشترك ممثلوه في عضوية مجلس الشعب، ودخل ممثلوه من طلبة الجامعات في قوائم مشتركة مع البعث في انتخابات اتحاد الطلبة، لكن مع نهاية عام 1975 بدأت تتقلص علاقة الحزب بنشاط الجبهة الوطنية التقدمية والعمل ضمن أطرها إلى أن انسحب رسمياً منها عام 1976 على أثر الموقف السوري من لبنان ودخول الجيش السوري هناك، واقترب المكتب السياسي من حزب الاتحاد الاشتراكي "جمال الأتاسي" وقوى أخرى في إطار ما سمي بعد بالتجمع الوطني الديمقراطي، وعقد الحزب مؤتمره الخامس في نهاية 1978 تمخض عنه خروج مجموعة جديدة من كوادره تمحورت حول يوسف نمر وصبحي أنطون ورأت أن مواقف المكتب السياسي من النظام تصعيد لا مبرر له ولا طاقة لواقع الحزب التنظيمي تحمل تبعاته.

بعدها دخلت سوريا منعطفاً خطيراً جراء حراك الإخوان المسلمين والرد العنيف من السلطة والذي لم يترك هامشاً للقوى الأخرى لتكون قوة جذب واستقطاب، مما أضعف تدريجياً جماعة المكتب السياسي وأفقدهم فاعليتهم الجماهيرية والتنظيمية، وأدى موقف المكتب من حراك الإخوان وعدم إدانته بل الدعوى إلى معالجة جذور المشكلة إلى انتهاء المكتب السياسي تقريباً واعتقال رياض الترك وعدد من رفاقه.

يوسف فيصل ورفاقه:

عام 1986 عقدت جماعة خالد بكداش مؤتمرها في أواسط تموز وحضره وفق مصادر بكداش ٪63 من المندوبين بالمقابل وعلى إثر خلافات تنظيمية حول ترتيب المواقع بدأت من عام 1981 بادرت جماعة يوسف فيصل وعقدت مؤتمرها في 29-30 كانون الثاني 1987 وسمته المؤتمر السادس وحضره كما ادعى فيصل ٪60 من المندوبين المنتخبين فادعى بذلك كل طرف أنه يحظى بالشرعية وكل منهما اعتبر الآخر غير شرعي.

لم يحدث أي تمايز في سياسة الحزبين أو في مصادرهما الفكرية إذ بقي كلاهما محافظاً على التوجهات السابقة والتكتيك السابق، الميزة الوحيدة في كلا التشكيلين أن جماعة خالد بكداش خرجوا أكثر وحدة حول الولاء لخالد بكداش وهيمنته الأبوية على الحزب بعد أن تحول إلى حزب صغير نواته الرئيسة من الأكراد وكذلك قياداته، أما مجموعة يوسف فيصل فقد انفتح تنظيمها على عدة مجموعات لها آراؤها المتباينة خاصة حول القضايا العربية بعد أن اندمج في الحزب أثناء المؤتمر السادس والذي سمي بالمؤتمر التوحيدي جماعة يوسف نمر "اتحاد الشيوعيين" التي انسحبت من الحزب الشيوعي/ المكتب السياسي، كما فتح مؤتمره لمراد يوسف المنشق سابقاً عن حزب بكداش كضيف عليه تمهيداً لاندماجه في الحزب في المؤتمر السابع عام 1991 ، وجمع في قيادته الجديدة ممثلين عن عدة جماعات اختلفت سابقاً مع خالد بكداش في إطار الحزب وتم انتخاب لجنة مركزية له، وتلقى المؤتمر رسائل تأييد من قادة مؤسسين مثل رشاد عيسى ونجاة قصاب حسن ووجه الحزب الشيوعي

اللبناني للمؤتمر تحية تأييد.

وهكذا في سوريا وجدت تنظيمات ثلاث تفرعت عن الحزب الأصلي "بكداش، الترك، فيصل" تواجه امتحان البقاء في ظروفٍ لا ترحم أحداً أهمها انهيار الاتحاد السوفييتي.

رابطة العمل الشيوعي:

مع الأزمة التنظيمية السياسية والفكرية التي عاشها الحزب الشيوعي السوري عام 1969 والتي أدت فيما بعد إلى نشوء حزبين منفصلين ظهر على الساحة السورية ما يسمى بظاهرة الحلقات الماركسية وهي تجمعات يسارية لا يملك أعضاؤها انتماءً حزبياً سابقاً وإن وجد هذا الانتماء عند البعض فقد كان يعود إما لانتماءاتٍ بعثيةٍ سابقة أو شيوعية بنسبةٍ أقل.

وقد حددت الحلقات الماركسية هويتها على أساس نفي ورفض الاتجاه إلى تشكيل حزب شيوعي جديد لصالح فكرة إنشاء رابطة تتجاوز كونها رابطةً أو تجمعاً للحلقات لتصل إلى تشكيل حالة فكرية سياسية تفعل العمل الشيوعي في سوريا عبر التأثير على التيارات الشيوعية السورية وخاصة المكتب السياسي والذي اعتبرته الحلقات الأكثر ثورية.

عام 1976 انعقد الاجتماع الموسع الثالث للحلقات الماركسية في سوريا، والذي انبثق عنه تنظيم سمي برابطة العمل الشيوعي ناتج عن دمج الحلقات الماركسية في بوتقة تنظيمية واحدة، وانتخب له قيادة مؤلفة من هيئة مركزية ولجنة عمل كان من أبرز وجوه الأخيرة أصلان عبد الكريم، فاتح جاموس، عباس عباس، هيثم العودات "هيثم المناع"، منيف ملحم، ولم يعين أحد في منصب الأمين العام على مبدأ جماعية القيادة وأصدرت الرابطة جريدة مركزية باسم الرابطة الحمراء، في الفترة ما بين عام 1976 و1978 اعتبرت الرابطة أن حزب بكداشٍ ملتصقٌ بالنظام وملحق به ذيلياً من خلال وجوده في الجبهة وبأنه يؤمن للنظام من خلال وجوده فيها غطاءً وطنياً ونوعاً من الشرعية الدولية على صعيد الحركة الشيوعية العالمية وخاصة في بلاد المعسكر الاشتراكي، وهنا تلاقت الرابطة مع المكتب السياسي في معارضة النظام وإن كانت الرابطة تبنت شعار إسقاط النظام بينما لم يصل المكتب السياسي إلى القطيعة الجذرية معه، وتعرضت الرابطة إلى حملة اعتقالاتٍ طالت أغلب أعضاءها في آذار 1977 وأيار 1978 والتي كانت قاسيةً وعميقة إلى حد أن جعلت أعضاء قيادة الرابطة يطرحون فكرة مناقشة انتهاء أو حل التنظيم.

قامت رابطة العمل الشيوعي في أيلول عام 1979 بطرح برنامج انتقالي يدعو إلى إسقاطٍ للديكتاتورية كشعار للتنفيذ الفوري حيث اعتبرت أن إسقاط الحكم الراهن واستبداله بحكم آخر هدفٌ تكتيكي على طريق الهدف الرئيسي المتمثل في الإطاحة بسلطة الطبقة السائدة.

عام 1980 بادرت السلطة السورية بالانفتاح تجاه اليسار في شباط من العام نفسه أي في ذروة صراعها مع الإخوان عبر الإفراج عن معتقلي الرابطة والمكتب السياسي، وعلى ضوء هذا الوضع اجتمعت الهيئة المركزية لرابطة العمل في آب من العام نفسه حيث تقرر بالأغلبية تجميد شعار "إسقاط النظام" كشعار تنفيذي من منطلق أن الظرف الراهن بتوازناته لا يمكن أن يؤدي بهذا الشعار إلا إلى خدمة الإخوان لأن سقوط الحكم يعني استلامه من قبلهم، والتركيز بدلاً عن ذلك على الإخوان بالدرجة الأولى عبر شعار "دحر التحالف الرجعي الأسود" وعلى أثر ذلك أيضاً أتى قرار الرابطة بإقامة حوار مع بكداش واتهمت المكتب السياسي بالتعاون مع الإخوان المسلمين وذلك على خلفية اعتقال رياض الترك.

على خلفية حملة الاعتقالات الواسعة ضد المكتب السياسي زادت العضوية في الرابطة بشكل كبير مما أقنع قيادتها بتحويلها إلى حزب جديد أطلق عليه اسم حزب العمل الشيوعي.

حزب العمل الشيوعي:

في عام 1981 وفي شهر آب عقد حزب العمل الشيوعي في سوريا مؤتمره التأسيسي في بيروت، وعند عودة مندوبي المؤتمر تم اعتقال بعضهم على الحدود اللبنانية، ومنهم عضو اللجنة المركزية وائل السواح ثم جرت اعتقالات فردية عديدة رغم ذلك لم يغير حزب العمل نهجه المؤيد للنظام، ولكن على أثر أحداث مدينة حماة عام 1982 أخذ حزب العمل موقفاً تصعيدياً من السلطة مما أدى إلى قيام حملة اعتقالات ضده، وعلى أثر الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام 1982 عاد الحزب لتأييد السلطة وتطوع عديدٌ من أعضائه لصد الاجتياح الإسرائيلي في لبنان بشكل شبه علني أمام نظر وسمع السلطات السورية مما أتاح له أن يأخذ حرية حركة في النشاط التنظيمي والدعائي كادت تصل إلى شبه العلنية في منتصف الثمانينيات وخاصةً في الجامعات السورية، فشهد الحزب نمواً تنظيمياً مرموقاً فيما الحزب الشيوعي السوري "بكداش" لم يستطع تجاوز إيقاعه الرتيب كما كانت أحزاب التجمع تصل إلى حالة تجميدٍ للنشاط السياسي والدعائي أو هي في السجون الحزب الشيوعي /المكتب السياسي.

عام 1986 شارك حزب العمل بفاعليةٍ في المظاهرة الكردية الكبيرة "عيد النيروز" في آذار من العام نفسه في حي ركن الدين بدمشق وكانت السلطة في هذه الفترة انتهت من تصفية حسابها مع الأحزاب الديمقراطية والإسلامية مما جعل الساحة السياسية خالية وهي لم تكن تريد لهذا الفراغ أو الصمت أن يملأه حزبٌ معارضٌ آخر بغض النظر عن برامجه، وبل قررت أنه آن الأوان لإجباره على الصمت كغيره، فشنت حملة اعتقالاتٍ واسعة طالت كل أعضاء المكتب السياسي لحزب العمل، لم يبق منهم طليقاً إلا عبد العزيز الخير والذي استلم القيادة السياسية والتنظيمية للحزب والذي بدأ واستناداً لمواهبه السياسية بالمناداة بالديمقراطية دون الإشارة إلى أي برنامج اشتراكية أو يسارية، وفتح أبواب الحوار مع كل التيارات السياسية في سوريا ومع قطاعاتٍ شتى ثقافية وإعلامية في قضايا حقوق الإنسان حيث تعاون مع لجنة الدفاع عن الحريات الديمقراطية وحقوق الإنسان التي تشكلت عام 1989 واعتقل أعضاؤها عام 1991 لتشمل الاعتقالات الخير نفسه عام 1992.

ويذكر لحزب العمل أنه أكثر اهتماماً بالثقافة من الأحزاب الأخرى وأكثر براعةً أيضاً في العملية الدعائية إلا أنه فشل في أن يولد حصيلةً موازية على الصعيد السياسي فيما استطاعت الأحزاب الأخرى أن تكون أفضل منه على هذا الصعيد.

إن استعراضنا لتاريخ اليسار السوري يؤكد لنا بأن القضايا السياسية تولد أموراً أبعد منها على صعيد الفكر لتصل إلى مراجعة الأسس والأوليات الفكرية السياسية، في هذا المجاز وبغض النظر عن إجراء هذه المراجعة وإتمامها أو الاقتراب منها والشروع فيها فإن مسألة وعي أن هناك إشكالات فكرية ومعرفية وراء الظاهرة السياسية يعد نوعاً من التقدم في فهم العملية السياسية التي تقوم على ثالوث "السياسة، فكر، سياسة" حيث تولد السياسة استنتاجاتٍ أو إشكالاتٍ أمام الفكر والذي يعود بدوره لكي ينضجها قبل أن يدخلها في السياسةِ من جديد، في حركة ثالوثٍ لا تنتهي...

ربما لم يعرف اليسار السوري في العقدين الأخيرين وخاصةً بعد انهيار الاتحاد السوفييتي تواجداً تنظيمياً بل لم نكن نشهد إلا تفككاً تلو آخر بتوازي الانحسار السياسي العام في سورياً بأكملها وعلى اختلاف تياراتها السياسية والفكرية، ومن تبقى من يساريين ينتمون للحزب الشيوعي بشكل رسمي كان انتماؤهم أشبه بالحالة الوراثية في الكثير من الأحيان ، في الوقت الذي بقي فيه الفكر اليساري نفسه موجوداً بين المثقفين ورواد المقاهي والشباب كفكر غير ممنهج أو مأطر ضمن تنظيم سياسي معلن أو حتى خفي، بل كان انتماء الشباب خاصةً انتماءً فكرياً مبنياً على الشيوعية كفكرة رومانسية لإزالة الفروق بين الطبقات وكثورة للكادحين والعمال، ومع اندلاع الثورة السورية في 15 آذار 2011 نزل هؤلاء الشباب بالتوازي مع الموقف المتخاذل للأحزاب الشيوعية إلى الشوارع للمناداة بالحرية والتي نادى بها الشيوعيون الأوائل قبل مئة عام تقريباً، فإن الفكر الشيوعي بثرائه براقٌ لكل الشباب مهما اختلفت مشاربهم، ورب قائل: من لم يكن شيوعيا في شبابه فهو بلا قلب، ومن كان شيوعيا في منتصف عمره فهو بلا عقل.

ثائر في المهد

■ خالد كنفاني

كل ما أذكره هو أنني خرجت إلى هذه الدنيا منذ فترة قصيرة جداً. كنت قبلها أتقلب بمنة ويسرة بحثاً عن غذاء بسيط يأتيني من قناة رفيعة ولكنها كانت كافية لإبقاء أنفاسي تتحرك. أذكر أنني كنت أعبّر عن تململي ببعض الركلات البسيطة والتي لم أكن أعلم من قد يشعر بها، لأنني ببساطة لم أكن أفهم أين أنا بالضبط. لا أنكر أنني كنت أشعر بين الفينة والأخرى بأصوات غريبة تدور حولي كما أشعر ببعض التقلبات التي كانت تجعلني أقف رأساً على عقب.

ولكن مهلاً، لم أخبركم بعد عن ما قبل ذلك. كنت في أمكنة نورانية لا مثيل لها، أمكنة يسودها السلام والهدوء، بالفعل هو الهدوء الذي لم أعرفه إلا بعد ذلك بمدة قصيرة تالية ليس الآن أوان الحديث عنها. كل ما حولي كان نورانياً ونبيلاً ويبدو بلا نهاية. لم أستطع تمييز الكثير من حولي، إلا أن الشعور السائد هو أن كل ما حولي وكل من حولي كان يجري بصمت ونظام دون أية جلبة. كان الشعور المسيطر لدي هو الراحة أو لنقل الطمأنينة، وسأعترف أيضاً أنني لم أعرف شعوراً غيرهما في هذا المكان النوراني لأنه لم يخطر ببالي أن هناك أشياء أخرى غير ذلك في هذا المكان.

كان انتقالي إلى ذلك الوعاء الضيق بشكل مفاجئ. لم يسألني أحد إذا كنت راغبة في الذهاب إلى هناك، مثلما لم يطلب مني أحد ذلك. كل ما حصل هو أنني بتّ أشعر بالضيق مثلما دخلت عليّ مشاعر أخرى غير تلك التي عرفتها في مكان إقامتي السابق. هنا بدأت أشعر بالجوع، ما هو الجوع؟ لم أكن أعرف في السابق أن لديّ أيضاً وعاء يجب ملؤه كل فترة كي أبقى على قيد الحياة. الحياة؟ إذاً هناك شيء آخر هو الموت. لا بد أنها مرحلة هامة تلك التي أعيشها الآن، هناك بعض القلق أحياناً وبعض الطمأنينة أحياناً أخرى. باتت المشاعر والأحاسيس متقلبة ومتضادة أيضاً، وعرفت الآن معنى التضاد، عرفت كيف أنني عندما لا أشبع أجوع، وعندما لا أنام أتعب. شيء مهم يتغير يوماً بعد يوم وبدأت أشعر بأشياء جديدة تتكون في جسدي، إنها أول مرة أشعر بأن لدي كياناً مادياً له أطراف تساعدني على الركل وأحياناً على اللكم للتعبير عن مشاعري.

وجاء ذلك اليوم...

لم أفهم سر تلك الضوضاء الرهيبة وكذلك الحركات العنيفة التي تضغط على كل جزء مني، ما الذي يحصل؟ وما هذا الذي يريد أن يعكّر علي صفو حياتي الجديدة بعدما اعتدت عليها بحلوها ومرها؟ بدأت الضربات تزيد وبدأت بالفعل أشعر معنى الألم، لم أكن قبلها أعاني سوى بعض الجوع أما الألم فهو شعور جديد بالكلية، ولكن لماذا؟ كانت المفاجأة أكبر عندما شعرت بوجود أجسام غريبة تحاول جاهدة الاقتراب مني، استطعت تمييز أطراف تشبه أطرافي الصغيرة ولكنها كانت بحجم كبير، شعرت بالرعب الشديد وبدأت بالمقاومة. كنت بالفعل أعيش لحظات تاريخية لأنها تحمل الكثير من الأشياء الجديدة والكثير من الفعل ورد الفعل. استغربت أنني كنت أقاوم بشكل لا إرادي كل تلك المحاولات لانتزاعي من مكاني وانتزاع حقي في اختيار المكان الذي أحب. ولكن وعلى ما يبدو بدأت مقاومتي بالانحسار وأحسست بجبروت ذلك القادم لانتزاعي، كان رأسي يعاني آلاماً رهيبة فتلك الأطراف الغليظة كانت تضغط عليه بعنف تريد سحبه وبالتالي سحبي إلى مكان آخر، أحسست بتيارات هوائية باردة وكذلك أصوات عالية لم أعهدها من قبل لا في مكاني السابق ولا هنا، أردت صمّ آذاني فلم أستطع، وبدأت الضوضاء بالتصاعد وكان رأسي يكاد ينفجر تحت هذا الضغط الرهيب.

ما هذا المكان؟ وماذا يحصل لي؟

بدأت بالصراخ، ولعلها أول مرة أعرف أن لي شيئاً اسمه صوت. بدأت أدرك شيئاً فشيئاً أن هذا المكان الجديد لن يكون كسابقيه، فهنا الكثير من الضجة والصراخ والضحك والقرقعة وأشياء كثيرة بدأت أدركها لأول مرة. شعرت بالراحة عندما صرخت وحتى بكيت، ولم أفهم رد الفعل الذي بدأت بتمييزه في تلك الكائنات التي كانت تسير حولي في حركة دؤوب وبدأت أشعر بأنني مركز الاهتمام، نعم بدأت أشعر بشيء من الزهو، فعلى ما يبدو أن كل هؤلاء (بدأت أفهم أن هناك كائنات أخرى تشبهني ولكن بحجوم أكبر) جاؤوا إلى هنا لأجلي، ومع قناعتي بأنهم إنما نغّصوا عليّ طمأنينتي غير أن مجرد كوني مركز الاهتمام جعل من الأمر تجربة مثيرة دفعتني إلى مواصلة الصراخ والبكاء لأنه ثبّت لي لاحقاً أنه وسيلة الحصول على الاهتمام من جديد.

كانت الطمأنينة الأولى في هذا المكان الجديد عندما تم وضعي بجانب كائن جديد ولكنه مختلف كثيراً عن كل ما حولي، كان يعطيني دفقات من الحنان والسلام أشعر بهما لأول مرة في هذا العالم الجديد، لم أفهم السر الذي جعل هذا الكائن مختلفاً، لم أشعر بأية حاجة للصراخ أو البكاء وأنا بجانبه، إنه سر كبير لم أفهمه ويبدو أنه لم يفهمه أحد قبلي. بدأت أفهم أن هذا الكائن هو من احتواني لتسعة أشهر كاملة وهو من تحمّل لكماتي وركلاتي، وهو ببساطة من يمنحني هذا السلام وهذه الطمأنينة.

كانت الأيام القليلة التالية شبه كافية للبدء بالتعرف على العالم الجديد. كان هناك صراخ وألم كما كان هناك القليل من الابتسام أو السعادة، في كل يوم كان هناك عشرون سبباً للبكاء، كان ذلك الكائن الحنون من أشد المتعلقين بي، لم يكن يفارقني، فهمت أنهم يسمونه الأم. كانت أمي كثيراً ما تحملني وتجري بي من مكان إلى آخر وأسمع ضربات قلبها المتسارعة وذعرها الشديد من شيء لم أفهمه أبداً. حتى الآخرون كانوا يجرون أو يتهامسون أحياناً خوفاً من شيء ما، إلى أن جاء ذلك اليوم.

سمعت قرعات قوية على شيء فهمت يومها أنه باب منزلنا. كانت هناك الكثير من كائنات تشبه من حولي ولكنهم بتعابير مختلفة، سمعت صراخاً من جديد، اعتقدت أن في الأمر زائراً آخر إلى هذا العالم الجديد مثلي تماماً، ابتسمت في داخلي في شماتة بسيطة، ها هو غيري سيرى ما حل بي، غير أنني سرعان ما اكتشفت أن الأمر لم يكن كذلك. حملتني أمي وكان أبي معنا (وهو بالمناسبة شخص لم أره كثيراً لأسباب لم أفهمها قبل مجيء هذه الكائنات إلى منزلنا)، كنت أسمع الكثير من الصراخ وكانت أمي تبكي بحرقة وتقول أشياء لم أفهمها لأولئك الذين أخذونا داخل شيء كبير لم أميز فيه سوى القذارة، علمت ذلك لما قارنته ببيتنا النظيف. كان هؤلاء يفعلون أشياء رهيبة بأبي وأمي لم أفهمها ولكنني شعرت بفظاعتها من صيحات أمي ومن شيء بلون أحمر كان يسيل بين عيون أبي.

كانت مفاجأتي كبيرة عندما بدأت أشعر بألم من نوع جديد، كان أحد تلك الكائنات ينهال عليّ بالضرب، كانت هذه أول مرة أشعر بذلك وبالطبع لم أفهم منه شيئاً سوى صيحات أمي وتوسلاتها، كان الألم رهيباً ولم يشبه أي شيء شعرت به فيما مضى. لم أفهم ماذا يريدون؟ ومن هم؟ إنهم نفس الكائنات التي كنت أراها يومياً منذ جئت إلى هذا العالم ولكنهم يقومون بأشياء مختلفة. بدأت أفقد الشعور بأطرافي الصغيرة وأحسست برأسي ينفجر من صيحات أمي التي كانت تعاني على ما يبدو أهوالاً، لم أعرف لماذا استعدت ذكرياتي عندما كنت أركل وألكم بحرية دون رقيب، أدركت عظمة أمي. أردت وبقوة أن أركل وألكم لكنني اكتشفت ضعفي أمام هذا الكائن الهمجي الذي بدا لي كشيء كبير جداً لم تستطع عيناي الوليدتان استيعابه.

فجأة انتهى كل شيء.

وجدت نفسي من جديد في ذات المكان الذي قطنته قبل دخولي إلى وعاء أمي. كان المكان كما تركته تماماً، سالماً هادئاً ومفعماً بالطمأنينة، ولكن زاد فيه هذه المرة أنوار جديدة لم أعهدها سابقاً، كانت تحملني وتطير بي سعيدة، لم أفهم سبب هذا الاهتمام مرة أخرى. كان السلام يعمّ كل شيء وكنت مرتاحة ومطمئنة وغير مكترثة بما سيحصل، شيء ما في داخلي دفعني للثقة بالنور الجديد.

لم أعد أسمع صيحات أمي ولا صراخ أبي. الغريب في الأمر أنني كنت أرى نفسي من هناك. فالكائن الهمجي الذي أوجعني بكل وحشية كان يحمل جسدي ليلقي به إلى كائن آخر بدأ بالبكاء لما رآني. كان يشير إليّ ويقول أشياء لم أفهمها، كنت أرقب كل ذلك من مكاني النوراني البعيد جداً وأنا لا أفهم ما يحدث سوى حنيني إلى حضن أمي ولهفة أبي، أما ذلك الجنون والوحشية فلم أفهمهما. كان الكائن الذي استقبلني يبكي بحرقة ويقول أشياء كثيرة. ها أنذا في مركز الاهتمام مرة أخرى ولكن في مكانين في آن معاً، على الأرض وفي السماء، هكذا قالوا لي هناك. قالوا لي أن الظالمين في الأرض كثر وأن العدالة في السماء أكثر، قالوا لي أنني الآن في الجنة من جديد، مع لقب جديد: شهيدة.

عذراً نسيت أن أخبركم من أنا. اسمي عفاف، ضربني وحش ادعى يوماً أنه يحميني، وقتلني آخر ادعى يوماً أنه سبب وجودي. أشتاق إلى أمي وأبي لأشاركهما السلام والطمأنينة هنا. أتمنى أحياناً لو أعود ولو لساعة فأركل من ركلني وألكم من لكمني، غير أنني لا ألبث أن أفيق لأقول أنه سيكون هناك من يقوم بذلك لأجلي.

بالمناسبة، أنا من حمص، جنة الأحرار على الأرض. لن أبكي بعد اليوم، فالدموع ليس لها مكان هنا. فأنا حرة من جديد.

من مذكرات يوم في نواكشوط

■ تقرير: الدد ولد الشيخ إبراهيم

الساعة تشير إلى تمام العاشرة من صبيحة يوم 2011/12/25 حيث قررت النزول إلى شوارع نواكشوط لأكتب عن جزيء من معاناة ساكنة هذه العاصمة، وهو ما يقتضي الركوب في حافلات الفقراء و السير على الأقدام و الجلوس بل و مشاركة المظلومين في اعتصاماتهم و آلامهم و الاستماع إليهم...

صعوبة الطريق:

كانت البداية باستغلال حافلة يصعب على ابن منظور إيجاد مفردات تصف مدى رداءتها و تهالكها و رغم ذلك كانت تتدافع أعداد كبيرة لتكدس داخلها و من منهم لم تسعه الحافلة فضل التعلق بأطرافها معرضا حياته لخطر السقوط أو الاحتكاك أو الاصطدام بإحدى سيارات العاصمة و التي يشهد لها العالم بالثورة على قواعد المرور...

رغم أن الزحمة كانت خانقة إلا أن الحديث كان بلسما لجراح الركاب بمعنى الكلمة، حيث اتفق الجميع ضمنيا على عودة الفساد و النهب بشكل أشد مما كان عليه، و تساءلت سيدة عن مصير الدركي الذي اختطفته القاعدة مستغربة من تكتم السلطات على ذلك الهجوم المباغت، كما تحدث آخرون عن لجان تخطيط الكزرات (ADU) متهمين إياها بالرشوة و بأن بعض لجانها تأخذ رواتبها مقابل عملها اليومي و هذا ما يفسر طول فترة العمل و تقطيعه، كما استنكرت سيدتان منع السلطات لأسرة المصطفى ولد الإمام الشافعي من دخول موريتانيا...و أخيرا الحمد لله نزلت من تلك الحافلة، التي تركت صاحبها يكابد كومة الحديد الصدئة تلك، كما يكابد الارتفاع المتكرر لأسعار الوقود و منافسة التاكسي له، و تذمر الفقراء...

كأس على عتبة الرئاسة:

كانت وجهتي نحو القصر الرئاسي علي أن أجد مظلوما منسيا على مشارف قصر رئيس الفقراء هناك، للأشاركه لحظات من مرارة ظلمه و ما إن اقتربنا حتى لاحت لافتات جديدة تظهر من بعيد كتب عليها: عبارات جديدو قديمة (نساء آدويرارة، ضحايا النفوذ السياسي و تغييب العدالة، مرت على اعتصامنا ستة أشهر)، جلسنا معهم و تناولنا كأسا من الشاي يحمل بطعم الإحساس بالظلم و المرارة من التهميش في بلد يقال بأنه ديمقراطي حتى النخاع، فعلى عتبة القصر الرئاسي مر جل المظلومين في موريتانيا لأسباب منها إحساسهم باختزال الدولة في شخص الرئيس و إجماعهم على أن لا حل و لا عدالة بدون موافقة فخامة الرئيس.

ودعنا تلك السيدات على أمل العودة إليهم بعد أن اشتدت علينا أشعة الشمس الحارقة و التي لا يستطيع مكابدتها و الوقوف تحتها لمدة ستة أشهر أمام الرئاسة إلا أناس أقل ما يمكننا أن نقدمه لهم هو الدعاء إلى الله أن يفرج كروبهم و كروب المسلمين.

المتسولين بين الجوع و الحيف:

قررنا تغيير وجهتنا إلى حيث يقام احتجاج من نوع آخر : إنهم شباب منسقية المعارضة الذين تظاهروا أمام وزارة البيئة و التي سمعنا أن وزيرها أصيب بدهشة نتيجة السرعة و الكيفية التي تمت بها بدون سابق إنذار. لكن قبل ذلك لا يمكننا الوصول إلى تلك المظاهرة في ظل زحمة المرور الخانقة دون أن يلفت انتباهنا ظاهرة انتشار المتسولين - من مختلف الأعمار و الألوان- في شوارع نواكشوط و الذين هم (مثل الأمم المتحدة) من جنسيات مختلفة، و من العجيب ما ذكره أحد ركاب سيارة الأجرة التي تقلنا و التي ذكرها عن شاب يستند في سيره على عكازان، مؤكدا أنه من أغنى شباب موريتانيا: فلديه سيارات أجرة كما أن لديه منزل يؤجره بينما يقطن هو في كزرة في دار البركة... هذا الشاب رفض الخوض في الموضوع معللا القول بأنه غير صحيح و بأن من يقوله كذاب و حسود، واضعا - للأسف- بذلك نقطة النهاية لحوار رغبنا في فتحه معه حول الدخل اليومي للمتسول الموريتاني و انعكاسات سياساتنا الاقتصادية على محصوله اليومي... لكن السيدة جينابا كانت أكثر منه انفتاحا حيث روت الدوافع الكامنة وراء لجوئها إلى التسول بدأ من رحيلها من مدينة بوكى التابعة لولاية لبراكنة حيث تعيد السبب إلى العوز من جهة و إلى الطلاق، و الذي لا تأسف عليه بسبب ما تكبدته من ضرب لها و لبناتها الثلاث على يد زوجها الذي تزوجها وهي طفلة صغيرة و رحل بها إلى قرية أهله بالقرب من قرية أمبلل. لكنه سرعان ما تخلى عنها بعد أن قرر الزواج بضرة خامسة مما اضطره إلى التخلي عنها و عن بناتها الثلاث لتنتقل بهم جينابا إلى العاصمة مرورا بمدينة روصو.

احتجاجات أصابت الوزارة بالقلق فقامت بإغلاق أبوابها:

عندما اقتربنا من مبنى وزارة البيئة و تحديدا كارفور نادي الضباط كانت الزحمة خانقة و كانت سيارات نواكشوط تكتظ، بصورة لا تطاق، حيث الدخان المتصاعد من سيارات الأجرة (مرسيدس 190)، و التي توقف المصانع عن إنتاجها لتلفظها أوروبا إلى موريتانيا (مكب النفايات الأوروبية)، مصحوبة بصفارات قوات الطرق، التي لم تعرف ما المهام الموكلة إليها تحديدا، حيث سبق لها أن أعاقت قافلة إينال لمدة سبع ساعات بدون مبررات قانونية، و قامت باعتقال مراسل رويترز الذي كان ضمن تلك القافلة و عادت به إلى العاصمة نواكشوط. كما قد قرأنا نبأ في أحد المواقع الموريتانية عن مداهمة هذه القوات لأحد المنازل في تفرغ زينة و اعتقال بعض النسوة و تسليمهم للشرطة... مما جعلنا نتسائل عن حقيقة المهمة الموكلة إلى هذه القوات القانومرورية... وصلنا إلى باب الوزارة و الذي يبدوا بأنهم أوصدوه تجنبا لدخول المحتجين و الذين حملوا شعارات مختلفة لكنها تصب في نفس المجرى "لا للتقاسم الأسري لأرض المطار و الحزام"، "نظام ولد عبد العزيز زائل و موريتانيا باقية"، "كفى فسادا كفى تحصيلا للثروة بتقسيم أراضينا"...

كان الهتاف يعم المكان فحماس الشباب و تشجيع النسوة و بعض السياسيين الداعمين لحراك شباب المنسقية قوبل بتلويح المارة و الفضوليين الذين عبروا لهم عن إعجابهم من خلال التلويح بالأصابع و الأيدي إلا أن الوقفة لم تدم طويلا حيث استمرت لساعة تقريبا، ليغادروا المكان بعد ذلك على أمل أن تكون الرسالة قد وصلت إلى من يعنيهم الأمر...

عودة إلى القصر الرئاسي:

بعد أن مرت وقفة شباب المعارضة التي نظموها أمام بوابة وزارة البيئة بسلام، مررت بالنسوة اللائي تركتهن أمام باب القصر الرئاسي (نساء آدويرارة) لألقي عليهن نظرة قبل العودة إلى المنزل، و هناك كان احتجاج من نوع آخر: عدد كبير من عمال النظافة التابعين للشركة الفرنسية Pizzarno الذين تزينوا بملابسهم ووقفوا إلى جانب نساء آدويرارة و قاسمهم المشترك كما يبدو هو الحيف و غياب المسؤولية، و المطالبة بالحقوق...

العودة إلى المنزل:

أسئلة كثيرة كانت تدور في خلجاتي و أنا ألملم بقايا الشعور بحب هذا الوطن المسكون بإرادة القهر و قانون التملق، كنت أفكر في المستقبل الذي نعده اليوم لأحفادنا الذين نتمنى أن لا يعلموا أن من بين أجدادهم من كانوا يوما يظلمون، كنت أفكر في بلدي الذي تكالبت عليه كل أسباب الشقاء، كنت أفكر في برنامج أكدته شركة المعلوماتية الأميركية العملاقة "آي بي ام" عن إنجازها لأجهزة قادرة على قراءة الأفكار والتعرف إلى صاحبها بحلول العام 2017. لا يزال المواطنون الموريتانيون يتظاهرون طلبا للحصول على ماء صالح للشرب (سكان قرية العكبة و مكطع لحجار و كرو...)، عدت إلى المنزل و جميع حوالك ضيم تجثم على فؤادي حسرة و ألما، ليس على المظلومين فقط، بل على الصامتين الرافضين لأضعف الإيمان...

هذا يوم من أيام نواكشوط، فهل هناك إضافة أيها المادحون؟

السوريون يصنعون لغتهم الجديدة: امتحان الذاكرة والثقافة

■ سامر أبو هاشم | كلنا شركاء

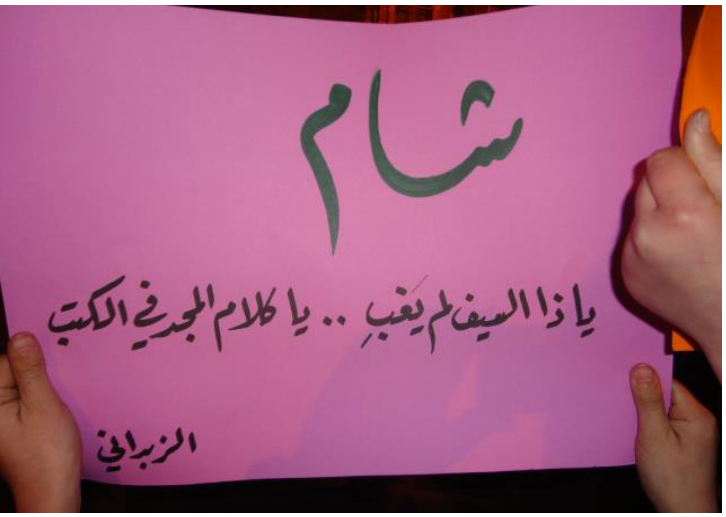

سيمر وقت طويل قبل أن تصبح مؤشرات التحولات التي يشهدها العقل الجمعي السوري ملموسة وظاهرة في طور التحول نحو سوريا الجديدة، التي يطمح لها السوريون في كلا الاتجاهين الذين باتا يحكمان الحراك المجتمعي، اتجاه المعارضين الذي يرى بأن الدولة السورية لن تتجدد إلا عبر إسقاط النظام الذي استولى عليها، واتجاه المؤيدين الذي يرى بأن تجديد الدولة السورية ممكن عبر إصلاحات تنطلق من إرادة النظام نفسه.

أولى هذه المؤشرات مما باتت نذره واضحة وغير قابلة للإخفاء أو التجاهل، هي تلك اللغة الجديدة التي بات السوريون يتفاهمون من خلال بعض ملامحها في هذه الأيام، إذ يبدو أنهم وبعد استمرار الحراك الشعبي أشهرا طوالا، قد قرروا وبشكل عفوي أن يقوموا بالقطيعة الكاملة مع لغة الماضي، ككناية عن مرحلة زمنية شاسعة كانوا فيها أسرى للغة متكلسة، لم تعد تناسب لا واقعهم الحالي، ولا التحولات السائدة في العالم الذي يعيشون معه علاقات تبادلية تفرض عليهم أن يتماشوا معها.

ولكن عن أي لغة نتحدث هنا..؟

بالتأكيد نحن لا نعني اللغة بوصفها أداة تواصلية مجردة تخضع لفعاليتها بذاتها، بل إننا نعني اللغة لذاتها ولاسيما من خلال حمولتها الوظائفية التعبيرية، والمرجعيّة، والتأثيريّة أو الإقناعيّة، وكذلك الوظيفية الشّعريّة، إذا كان لنا أن نستعير من رومان ياكبسون توصيفه المعروف حول طبيعة اللغة.

وطبقاً لمسارات الواقع فإن نظرة بسيطة على التفاصيل توضح للمتابع أن الصراع الذي يمضي به الواقع السوري إنما يتركز في شكله الظاهر إعلامياً في اللغة، ويأخذ تجلياته في المكتوب والمرئي والمسموع، أي أنه يقوم على الإنشاء في اللغة، فهناك واقع يومي يعيشه الناس على الأرض، وهناك واقع إنشائي يُظهر التفاصيل من خلال صناعة المتصارعين لخطاباتهم عبر اللغة..

القصة لم تبدأ في منتصف شهر آذار، بل إنها تعود إلى ما قبل ذلك، فقد شكل انطلاق الربيع العربي منعطفاً كبيراً في تعاطي السوريين مع بعضهم، بعد أن كانوا سابقاً ومن خلال استخدامهم لشبكات التواصل الاجتماعية كالفيس بوك بشكل رئيس، وتويتر بشكل أقل، قد أعادوا ترتيب علاقاتهم مع بعضهم بطريقة أكثر تركيزاً من تواصلهم الطبيعي في الواقع الحقيقي، ورغم أن الحجب الذي كانت قد طبقته السلطات السورية على الدخول إلى هذين الموقعين قد أعاق تحول مفهوم الشبكة الاجتماعية إلى حالة جماهيرية، إلا أن قدرة السوريين على استخدام هذين الموقعين عبر كسر البروكسي قد جعلتهم يستفيدون من منبرية الشبكة، مسرّعين وبشكل شبه عفوي، من استخدام الأداة التواصلية والوصول بها إلى منتهياتها، أي أن البيئة التواصلية التقنية ورغم وجود العوائق ورغم قلة مستخدميها نسبيا كانت حاضرة وبقوة، وحين بدأت أحداث الثورة في تونس كان من السهل على مستخدمي الشبكة من السوريين أن يلاحظوا أنهم يستطيعون اختصار اللغة و الشروحات الخاصة بالموقف مما يحدث ، عبر تحرير الصورة الشخصية على الفيس بوك، واستبدالها بعلم تونس، مما يجعل موقف المستخدم واضحا دون الحاجة لاستخدام التعابير الشعاراتية الفاقعة، وسرعان ما جعلت أحداث الثورة المصرية السوريين في مواجهة مع عملية حرق مراحل تذهب صوب الإمساك بكافة إمكانيات شبكة التواصل الاجتماعية، ترافقت مع فك السلطات السورية الحجب عن موقع فيس بوك.

وهنا يجب علينا نتوقف عند نقطة هامة تتعلق بطبيعة الفعالية الشخصية على الشبكة كي نستطيع تلمس التحول الذي جرى وبشكل سريع في علاقة السوريين مع اللغة، ففي موقع تويتر والذي ينتمي لنوعية التدوين القصير يسمح الموقع للمستخدم بكتابة 120 حرفا فقط للتعبير عن الحالة الشخصية أو لكتابة الخبر الذي يريد المستخدم بثه، وكذلك يسمح الفيس بوك بكتابة 420 حرفا فقط (تم توسيع هذه القدرة في فترة لاحقة من عام 2011 لتصبح مفتوحة للمدون)، مما يقتضي من المستخدم أن يقوم بعملية اختزال أو اختيار دقيق للكلمات، وقد وجد المستخدمون السوريون ولاسيما منهم الشباب في النموذج المصري ضالتهم حين وجدوا أن مجايليهم هناك قد أجادوا استخدام الشبكة الاجتماعية وبديناميكية مذهلة، ولاسيما من جهة القدرة على تحديد الأهداف و التعبير عن الموقف عبر أقل ما يمكن من الكلمات، حتى أن هذه القدرة المتنامية قد انعكست على ممارسات الشباب الثائر في الميدان، فكلنا يذكر كيف أن الرئيس المخلوع حسني مبارك كان يتلقى وبسرعة رهيبة ردود الفعل على خطاباته بعد مرور دقيقة أو دقيقتين، من قبل الشباب الذين كانوا يستشرفون ما كان يريده من خلال التدقيق طبيعة اللغة فبمجرد استخدامه للسين المستقبلية كقوله: سأفعل، كان الصفير في الميدان يتعالى وكانت الأحذية ترفع لتواجه صورته في الشاشات..!

لقد فرضت الشبكة على العقل الشبابي الذي تعاطى معها منطق الاختصار، والذهاب وبشكل مباشر نحو الأهداف، و أظن أن هذا جوهر مشكلة اللغة السائدة، فمنظومتها القارة تقوم على نسق بلاغيّ تدرجت ولادته قبل ما يقارب نصف قرن من الزمن، ولاسيما عبر الفعاليات الديماغوجية التي حملتها الثورات التي قادها العسكر في الشرق العربي من خمسينيات القرن الماضي إلى ستينياته، حيث كان لابد من الإطناب البلاغي التطويلي في شرح أهداف الثورات وتصوير الفاعلين فيها وحالة الجماهير، مما بات أشبه بترسيمة أو خارطة بلاغية كانت تفقد ضروراتها مع الفشل السياسي للثورات، ولكنها بقيت مستمرة حتى تحولت إلى حالة كوميدية ساخرة، منطق الاختصار الشبابي يواجه السائد اللغوي البلاغي التطويلي، وهذا ما لم تنتبه إليه السلطات التي اعتاد الحكام فيها على الإطناب والشرح، مما عكس تباينا بين عقليتين، عقلية ماضوية سلطوية تتمسك براهنية الحال وتستخدم أدوات لغوية مترهلة، عقلية مستقبلية ثائرة تميل نحو لغة شابة ديناميكية وسريعة..!

وإلى هذا وجد الشباب السوري نفسه في عملية تحول مستعجلة تميل نحو مراجعة الأدوات للخروج صوب تواز بينهم وبين الآخرين في البلدان العربية الأخرى..

ولكن هل تمت العملية بشكل سلس وبشكلي كلي في نفس الوقت..؟

بالتأكيد لا.. إذ أن أهم ما يمكن ملاحظته في هذا السياق أن مستخدمي الشبكات من السوريين و بالتوازي مع تفجر الحراك الشعبي كانوا يعيدون استخدام ذخيرتهم اللغوية و الفكرية عبر إعادة نشر دفاتر محفوظاتهم، فكل سوري وجد نفسه وعلى صفحته الشخصية يعبر عن موقفه من خلال استدعاء ما قاله الآخرين الذين يرى بأنهم قد قالوا ما يريده هو، وهكذا تم إحياء أجيال من الشعراء والروائيين والكتاب والمفكرين السوريين عبر نشر شذرات من أشعارهم وكذلك تم إحياء آلاف المقطعات من الأقوال الفكرية، وقد يجد نقاد الشعر العربي الحديث موضوعاً مهماً لدراساتهم حين يمحصون في حضور أشعار شاعر كبير راحل كمحمد الماغوط على صفحات الثائرين، وكذلك أشعار شاعر سوري رحل في عز شبابه قبل ما يقارب الثلاثين عاماً هو رياض الصالح الحسين ولاسيما قصيدته الشهيرة "سورية" التي يقول فيها:

"يا سورية الجميلة السعيدة/ كمدفأة في كانون/ يا سورية التعيسة/ كعظمة بين أسنان كلب/ يا سورية القاسية/ كمشرط في يد جرّاح/ نحن أبناؤك الطيّبون/ الذين أكلنا خبزك و زيتونك و سياطك/ أبداً سنقودك إلى الينابيع/ أبداً سنجفف دمك بأصابعنا الخضراء/ ودموعك بشفاهنا اليابسة/ أبداً سنشقّ أمامك الدروب/ ولن نتركك تضيعين يا سورية/ كأغنية في صحراء." (من ديوان بسيط كالماء، واضح كطلقة مسدّس)..

غير أن هذا الحضور الشعري، لم يكن كافياً ليعبر عن الآمداء التي وصل إليها الشباب السوريون وهم يمارسون فعاليات غير مسبوقة في تاريخ بلدهم، ولهذا فإننا كنا نشهد شيئاً يشبه عملية الاجترار من قبل الأغلبية العظمى من المستخدمين الذين لا يملكون ككتلة عريضة ذات الثقافة التي تسمح لهم بتطور تعبيري متوازي..

وإزاء هذا التكرار الذي لم يرتق إلى ما يوازيه في الحراك على الأرض، ظهرت قلة من المستخدمين كانت تنحو إلى ممارسة فعالية إبداعية تتمثل عبر الكتابة الومضية أي الكتابة القصيرة ذات الفعالية، وقد رصدنا طيلة الأشهر السابقة كيف أن ظاهرة دفتر المحفوظات كانت تتناقص مع تنامي التحولات في الواقع اليومي، إذ أن قدرة مستخدمي الشبكة على إيجاد التعبير المناسب عن الواقع والموقف منه كانت تقل كلما كان الواقع يقدم منجزاً جديداً من تحولاته، وفي المقابل كانت الأنظار تتجه صوب القلة المنتجة التي بات العديد من أفرادها نجوماً على شبكتي فيس بوك وتويتر..ولعل السبب الرئيسي في هذا إنما يرجع إلى قدرة هؤلاء على التعبير عن الواقع ضمن منطق لغوي إبداعي مختلف عن السائد..

إن المنتوج اللغوي الجديد الذي نعثر عليه من خلال صفحات الفيس بوك وتويتر في بداياته كان يستند وبشكل رئيس إلى رغبة واضحة لدى الشباب السوري في اختراق حاجز الممنوع الذي ظلوا يتعايشون معه طيلة عشرات السنين، ولهذا فإن إنبعاثات اللغة كانت تتوازى وبشكل طردي مع تحولات الشعارات في الشارع الثائر ذاته، وقد شكلت الصفحات مرآة للاجتهاد اللغوي الذي كان الشارع ينطق به، و كلنا يذكر المنتوج الشعاراتي الذي كانت تقدمه تظاهرات بلدة كفر نبل، والتي اعتبرت في وقت ما ناطقة باسم الجميع، ولاسيما منها تلك اللافتة التي أمست أيقونة شهيرة والتي كتب فيها: "يسقط النظام والمعارضة.. تسقط الأمة العربية والإسلامية، يسقط مجلس الأمن..يسقط العالم، يسقط كل شيء"..

كما أن بعض الصفحات الفيس بوكية التي باتت شهيرة جداً (صفحة مشحم ومغسل حمص للدبابات، وصفحة الثورة الصينية ضد طاغية الصين) كانت تنقل الخطاب السياسي للثائرين من عتبة الجدية المطلقة إلى عتبة الكوميديا و السخرية عبر طرافة لغوية كانت تمارس فيها كل الألعاب اللغوية، مما حول الخطاب الرسمي الذي كانت تنشره القنوات التلفزيونية الرسمية، وكذلك المواقع الإلكترونية المؤيدة، إلى مادة للاشتغال اللغوي لدى صناع الكوميديا، الذين كانوا يترقبون ويتابعون لغة المحللين والمدافعين الذين تبنوا مواقف السلطة السورية والتي بقيت رهينة لمنطقها ذاته، فهؤلاء كانوا يعيدون إنتاج اللغة المتداولة في الإعلام السوري، دون أن يحاولوا إضافة أي ملمح جديد ينم عن عقلية اجتهادية تطور خطابها وبما يتناسب مع حالة الأزمة مما جعل الكثيرون ينكصون عنها، وقد سجل لدى الكثيرين من هؤلاء الذين كانوا يدافعون عن النظام كيف أنهم وإزاء مواقف المعارضين كانوا يلجأون إلى لغة شتائمية ضعيفة وسهلة التناول مما جعل هذه اللغة ذاتها مادة للاجتهاد اللغوي المضاد.

اللغة ليست متحيزة، بينما الفعالية اللغوية تتحيز بحسب الفاعلين، والسوريون يصنعون الضفاف التي يجري بينها هذا التدفق الكبير للغة، ويبدو من يخوضون وبشكل عفوي في هذا النهر ينجحون إلى حد كبير في أحياء ما ظن الكثيرون أنه قد خمد وانتهى بفعل التكلس والاستكانة، فاللغة يصنعها الشارع، ويقرأها المثقفون، ليعيدوا إنتاجها عبر مستويات أعلى، وعليه فإن ما يحدث في الشارع السوري وبغض النظر عن التحزب إنما هو اختبار للثقافة السورية كلها، إنه امتحان مؤجل منذ عشرات السنين، وقد حان الآن موعد نتائجه.

عن موقف الطائفة العلوية

■ رفيق الحلو

وجد البعض في تسريبات العدو الصهيوني عن "إيواء" العلويين في الجولان، فرصة للتساؤل عن موقف هذه الطائفة، فبعد تغنيد جيد لأهداف العدو من زرع الفتنة، يتساءل هؤلاء لماذا أغلبية الشبيحة علويين ولماذا لا تعلن المرجعيات العلوية موقفا تتخلى فيه عن النظام؟..

كنت قد كتبت منذ فترة: أن يكون أغلب المقهورين سنة وأغلبية الشبيحة ورعاع الفرقة الرابعة من العلويين، فهذا من ترتيب النظام ولا يغير من حقيقة الصراع في شيء، إذ يبقى صراعا سياسيا بامتياز. وهي حرب بالتأكيد، لكنها حرب نظام طاغ على شعبه، ويد جلاده لا تعرف الطوائف، إذ طالما أدمت ظهور المعارضين العلويين والمسيحيين والأكراد والأشوريين والموارنة والفلسطينيين..

لقد أستخدم هذا النظام منذ أربعين عاما كل الأوراق الممكنة لأحكام قبضته على المجتمع والدولة. هو أستخدم المخاوف التاريخية للطوائف وخاصة العلوية؟ لكنها لم تكن يوما ورقته الوحيدة. لقد عرف مثلا كيف يجند الكثير من أصحاب العقيدة مثل البعثيين والشيوعيين والقوميين السوريين، بالترغيب والترهيب..

كان يدعي الحداثة ويعرف كيف يهادن العشائر ويضمها إلى صفه، ويدعي العلمانية ويحرص على تعيين رجال الدين السنة ونشر الفكر الديني. يدعي الممانعة ولكنه لا يحترم شيئا بقدر احترامه لخطوط الحمراء التي فرضها عليه العدو وفرضتها عليه الحالة المزرية التي أوصل البلاد إليها اقتصاديا وعسكريا.

وبنى على مدى عقود أحلافا شديدة التناقض، روسيا، دول البترول، إيران. شجع الإرهاب وساعد الأمريكان في تسليم الكثيرين منهم.هو مع الأتراك ومع الأكراد. في لبنان عادى وتحالف مع كل الأطراف. هذا النظام لا يوصد بابا: تجار فاسدون، منتجو ومهربو مخدرات، الكل يجد طريقه للتعامل مع حاشية هذا النظام ومشاركته، هو نظام مافيوي وأن كان للمافيا بعض الأخلاقيات التي لا توجد عند نظامنا..

لن أطيل، ما أردت قوله أن تجنيد الطائفة العلوية عبر تخويفها لم يكن إلا حجرة واحدة في صرح الديكتاتورية التي نرزح تحتها وأولئك الذين يقولون كفاكم كلاما شاعريا عن الطائفة العلوية وانظروا إلى الواقع انظروا إلى طائفة الشبيحة، أحب أن أقول لهم : أنتم العميان الذين لا ترون إلا الرصاصة في سلاح الشبيحة؛ ولا ترون كيف ولد الشبيح وكيف وصلت الرصاصة إلى سلاحه. ترون فرق شبيحة علوية ولا ترون جحافل أمناء فروع حزب بعث وألوية منظرين ومطبلين على مدى أربعين عاما وأرتال الفاسدين والمنتفعين وهم من كل الطوائف..

بالكاد الشبيح هو أكثر أجراما من فنان يمجد لشخص طاغية، أو من بوق ينفي المجازر، أو من تنظيم سياسي يشرع القتل...

كثير ممن التحق بالثورة استفاد من النظام يوما ما، نحن نرحب به ونطوي صفحته من أجل الوطن، لكن للتاريخ أن يستدعي أحيانا. والتاريخ يقول كلنا شركاء بدرجة متفاوتة في السماح للنظام بالاستهتار بموارد البلد وبناء آلة قمعه الجهنمية التي كان أفظعها طبعا فرق الشبيحة. ولكن الأمور تدرس من جذورها..

تجنيد الشبيحة في عهد بشار يشبه تجنيد سرايا الدفاع في الثمانينات. المصادر هي نفسها: العاطلين عن العمل، الفقراء أو من هو آت بالأصل من بيئة فقيرة، وأهم من كل ذلك انعدام الثقافة. يجب أن تكون ذو ثقافة محدودة وإلا كيف ستقتنع أنك بالدفاع عن النظام تدافع عن نفسك، وتصدق أن الأخر لا ينتظر شيئا إلا سحقك أنت وعائلتك..

سكوتنا عن السرطان الذي نمى شيئا فشيئا خلال 40 عاما، استفادة البعض منا من الفساد، اعتيادنا على التحايل على القانون، أنانيتنا حين كنا نرى أبن الجار يعتقل ونحن نردد: يا حرام شو سوى بحالو؟ كل ذلك سمح للنظام بصنع شبيحته. قد لا أبالغ كثيرا بالقول: نحن من وضع الرصاص في سلاح الشبيحة

بقي أن أقول أشياء اعتبرها في منتهى العمومية:

الطائفة العلوية لا تختزل في مرجعياتها الدينية، فأرجوكم ابتعدوا عن الطريقة اللبنانية في التعاطي مع الوضع السوري.

الطائفة العلوية ليست حزبا ولا ننتظر منها موقفا موحدا في أي موضوع.

الثوار العلويون ليسو بالقلائل، إذا أخذنا بالاعتبار أنهم تحرروا مرتين، مرة من محاولة النظام ربط مصيرهم بمصيره ومرة أخرى من الخوف الذي رزح تحته كل سوري..

المناطق العلوية لا تحتوي الكثير من التجمعات الكبيرة والنظام يسيطر عليها بقبضة حديدية وليس من السهل أطلاقا أخراج مظاهرات في تلك المناطق..

طالما كان النظام، وفي سعيه للاحتفاظ بالورقة الطائفية أكثر وحشية مع المعتقلين العلويين منه مع الآخرين..

وجود حزب الأخوان المسلمين في المعارضة يشكل معضلة. هذا الحزب العريق والذي لا يمكن أنكار تاريخه ولا جماهيريته، يطرح وجوده في الثورة عدة مسائل. أولها أنه على حد علمي لم يقم بالمراجعة العميقة لأسباب فشله في الثمانينات، وهو لا يهاجم ولا يتبرأ جهرا من بعض الطائفيين الذين يدورون في فلكه وإن لم يكونوا بالضرورة من المنتسبين للحزب. لم يفهم مثلا هذا الحزب أن مجلسا يهيمن عليه سيرفض ليس من العلويين بل من قسم كبير من الشعب السوري بما فيه قسم من ألسنة أنفسهم. ربما تعلم من دروس الماضي أنه وحده لن يقلب النظام بل سيثبته، وهذا ما حدث في الـ80، ولكنه مع ذلك يصر على تضخيم تمثيله في مؤسسات الثورة حتى الخيرية منها، بما يتنافى أصلا مع حجمه الحقيقي على الأرض..

أخيراً؛ أتمنى من كل سوري حقيقي، أن يتوقف عن تعداد أبناء كل طائفة لدى كل من الجانبين. ثورتنا هي ضد الطائفية بقدر ما هي ضد النظام. الطائفي هو مع النظام حتى لو وقف في صف الثورة وادعى الانتماء إليها...

نهجنا هو ما يبرهن أن ثورتنا وطنية وليست طائفية، حتى لو خلت الثورة من علوي واحد.. أو من مسيحي واحد..

2012 / 1 / 12

دندنات

بيان تجمع التشكيليين السوريين المستقلين

أيدي السوريين اليوم في النار، وصدورهم مثقوبة بالرصاص، وقلوبهم تنبض بقوة الأمل، لذا يجد الفنانون التشكيليون السوريون أنفسهم أمام استحقاق طال تأجيله: تأسيس كيان مهني مستقل، يخصهم، ويشبههم، ويدافع عنهم، ويعبر عن خياراتهم الفكرية والإبداعية في هذه اللحظة المفصلية من تاريخ شعبهم.

بعد أن ابتكرت الإنسانية في القرون الماضية فكرة النقابة المهنية التي تنظم حقوق ومطالب ونضالات أعضائها، وتدافع عنهم في وجه السلطة السياسية وسطوة المال، جاءت السلطات الاستبدادية في كثير من بلدان العالم، ومنها السلطة في بلدنا المنكوب لتجعل هذا الكيان مسخاً تابعاً من مسوخها، ورافداً من روافد خطابها الدعائي المُمل، ولتفرغه ـ بالتالي ـ من معناه ودوره. وكانت نقابة الفنون الجميلة في سورية إحدى هذه الأدوات على مدى عقود، مثلها مثل بقية النقابات والاتحادات المهنية.

أمام هذه المصادرة المزمنة يجد الفنانون التشكيليون السوريون الموقعون على هذا الإعلان أنفسهم ـ مدفوعين بقوة إيمانهم بحقوقهم ـ انه بات ضرورياً الإعلان أن النقابة الحالية لا تمثلهم، وأنهم قرروا إنشاء كيان مهني جديد من صنع أيديهم، يدافع عنهم وعن مصالحهم، يعبّر عن تعدد خياراتهم الفكرية والإبداعية، يكون جزءاً عضوياً من الثقافة السورية المعاصرة الحقيقية، منفتح على ثقافات العالم وانجازاته البصرية، وابن شرعي لمجتمع يثور منذ عشرة أشهر على عقود الطغيان وانعدام هواء الحرية والكرامة.

إن الموقعين على هذا الإعلان الذين يحلمون بالتغيير الشامل والذين يرفضون القتل ودعوات التسليح والتدويل وانفلات الغرائز الطائفية، يدعون كل الفنانين التشكيليين السوريين الأحرار أن يساهموا في تأسيس تجمعهم المستقل. كما يدعون كل الفنانين في البلاد العربية والعالم للتوقيع على بيانهم هذا باعتبارهم أعضاء شرف في تجمعهم هذا متضامنين مع الفنانين التشكيليين السوريين رافعي راية حرية الإبداع وحرية الرأي واستقلالهما عن كل سلطة

تجمع التشكيليين السوريين المستقلين
دمشق 14-1-2012

الفنانون الموقعون:

يوسف عبدلكي	اكرم الحلبي
عاصم الباشا	مجد عبد الحميد
منير الشعراني	خليل يونس
غسان نعنع	جوان زيرو
ادوار شهدا	رندا مداح
ناصر حسين	احمد علي
فادي يازجي	سعد حاجو
ياسر صافي	محمد الرومي
نسيم الياس	عزه أبو ربيعة
مهند دهنة	بسيم الريس
فهد الحلبي	علي قاف
طارق بطيخي	أمجد وردة
طلال ابودان	نزار نيوف
ضياء الحموي	محمد سيدا
منيف عجاج	عبدالله الأصيل
هبة عقاد	تمام العمر
د. حبيب الراعي	عبدالحميد سليمان
ياسمين فنري	فراس الجوابرة
سعد نجم	نصوح زغلولة
خالد الخاني	جابر العظمة

فـــرج بيـــرقدار..

من أدب السجون إلى اللجوء.. احتفى به العالم وأُخفيَ عن بلاده

■ سلمى الخطيب

"أدخل الشرطي فأره في فم السجين، وأمره أن يبتلعه ابتلاعاً بدون أي مضغ. حاول السجين في البداية قليلاً قليلاً

* * *

ولكن في منتصف الطريق بدأت عضلات وجهه تتقبّض وترتجف.

لو أي شيء غير هذا الفأر الميت!!!

لو كان مسلوخاً على الأقل!!!

أدار السجين رأسه بحركة لولبية بطيئة وهو يضغط على العنق.

كانت يداه... كأنما تشدان شيئاً ما، ولكن بدون جدوى.

باعد قدميه... أو تباعدتا وهو يوازن حركته مخالفاً ما بين دفع عنقه إلى الأمام، ونتر يديه إلى الخلف.

أن يبتلع الفأر إنساناً... يبدو لي أسهل من أن يبتلع الإنسان فأراً!!!"

بعض مما كتب فرج بيرقدار عن تجربته مع السجون السورية..

لم يكتب فرج مذكرات عن تجربته مع السجون السورية.. لم يكن لديه قلما أو ورقة ليدون ما شهدته عيناه .. بل عوّد ذاكرته على حفظ ما يراه ليخرج كتابه "خيانات اللغة والصمت" إلى النور عام ٢٠٠٦ بعد أن لجأ بيرقدار إلى السويد

يصف فرج بكتابه هذا جميع أشكال التعذيب المستخدمة في السجون السورية من ما يعرف بالكرسي الألماني إلى بساط الريح وما بينهما من سياط وكابلات الكهرباء، كما تراه يصف شكل العلاقات الغريبة التي تحكم السجان والسجين وعلاقة السجين مع نفسه في ظروف لا تمت للإنسانية بصلة. قد تبوء محاولاتنا بالفشل لتخيل الألم الذي عاناه سجناؤنا السياسيون ومعتقلو الرأي ضمن حكم الأسد الأب والابن.

يقول بيرقدار حين سأله أحد الصحفيين: يتحدث الكثير من النقاد عن الجسد في الإبداع.. فما علاقة فرج بجسده بعد سنوات طويلة من التعذيب هل أحبه ؟ هل أكرهه؟

يجيب فرج: في مقطع من قصيدتي "أنقاض" أقول: "لا أعرف أيهما أكثر استبسالاً/ الروح أم الجسد؟/ كلاهما كان يصهل/ وأشهد أنهما لم يخذلاني/ حتى عندما العالم كله/ كان يعوي من الألم "أجل كان جسدي وفياً لي إلى حد كنت أشعر معه بالذنب والخجل وضرورة الاعتذار. لا بل إني بكيت عليه في داخلي مرات ومرات. لقد تحمّلت أجسادنا ما لا طاقة للخيول به. كانت أجسادنا هي أطلالنا التي نقف عليها، وخيولنا التي تشتكي إلينا عندما تمزّق أعناقها الحمحمة والوهوهات، ثم لا تَقبل التخلي أو الانسحاب. لكأنها كانت تقول: إما أن ننجو معاً أو نهلك معاً.

صديقي الأول الآن هو جسدي، وعلي أن أحميه وأرممه بأقصى ما أستطيع".

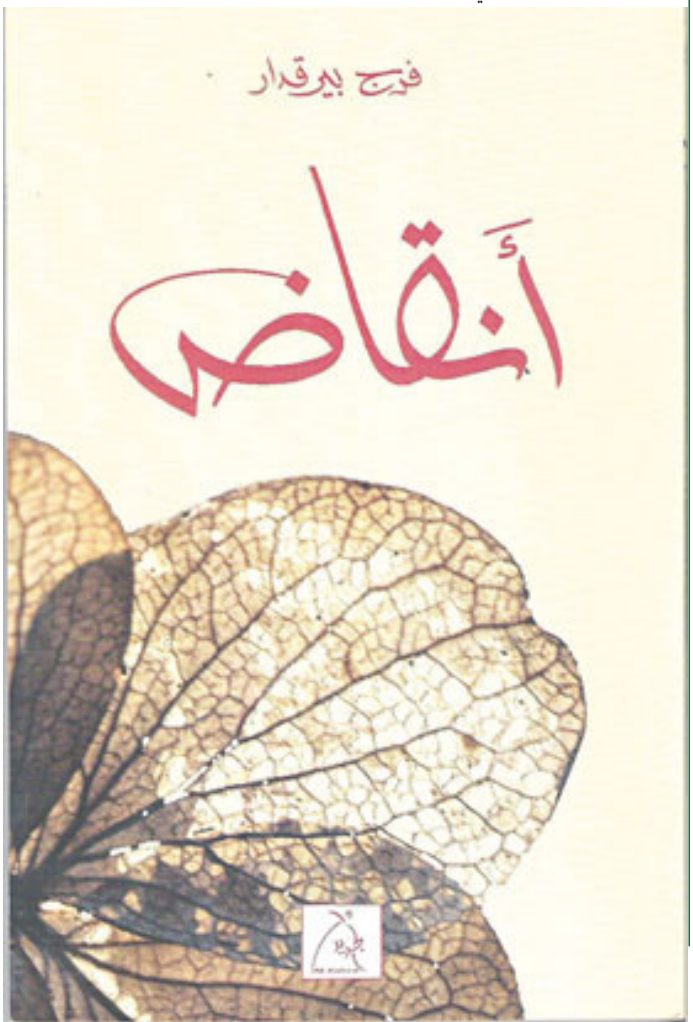

يعتبر منتج بيرقدار الأدبي من أجمل من كَتبَ عن مآسي المعتقلين في السجون السورية حيث ينقل إلينا بلغته الجميلة مآسي أصدقائنا وآبائنا في زمن الأب لنكمل نحن الدرب ونروي مآسي معتقلاتنا في زمن الابن... من خلال الشعر ننتقل مع فرج بعوالم إنسانية مليئة بالألم والانتهاكات لحقوقنا الأساسية كبشر، الحق بأن تعيش حراً كريماً... لا تقيدك سجون نظام فاسد لأنك عبرت عن رايك فقط...

وفي رحلة التنقل بين أمزجة مختلفة وغريبة في أجواء السّجون السّورية نكتشف نحن القراء معه قصص أناس عاشوا في زمن الأسد ولم يدري بهمّ أحد ... أناس هم جنود مجهولون أسسوا بإصرارهم وتفانيهم في مبادئهم وعملهم السياسي لمرحلة كان لابد أن تأتي عاجلاً أم آجلاً وها نحن اليوم وبعد أربعين عاماً من القمع ننتفض في ثورة الكرامة لنحقق أحلامنا وأحلام من عانى سنواتٍ طويلة في عتمة السجون الكالحة...

لم يتوانى فرج عن إكمال نشاطه حتى بعد لجوئه إلى السويد، فمنذ اندلاع الثورة السورية كان من أوائل المتظاهرين أمام السفارة السورية في ستوكهولم العاصمة السويدية.

لم يتخلى فرج بيرقدار يوماً عن إيمانه بسوريا جديدة كبلد يحفظ حقوق جميع أبناءه.. بلدٌ حرٌ حيث لا مجال لمزيد من الانتهاكات والقمع والإكراه .. بلد يتساوى فيه المواطنون جميعاً ويتعايشون فيه تحت سقف وطنٍ يرسم دروب أبناءه إلى الأفضل دائما.

كرّم فرج خارج بلاده في العديد من المهرجانات واحتفل باستضافته في مهرجانات عدة ومقابل هذا حرم من أن يقف على منصة هنا في سوريا..

فرج بيرقدار مع انتصار الثورة السورية سنفخر باستضافتك على منصةٍ سورية,, كي لا ننسى كيف كانت معتقلات سوريا كي لا نعيد الماضي البشع .. سنستضيفك على منصة الحرية كشاعر سوري نعتد به.

بيبلوغرافيا

رفرج بيرقدار شاعر وصحفي سوري من مواليد حمص 1951 له عدد من المؤلفات المنشورة والمترجمة، منها مجموعة شعرية بعنوان "حمامة مطلقة الجناحين" نجحت ترجمتها الفرنسية في 1997 في لفت الانتباه إليه وإطلاق حملة دولية للإفراج عنه.

• شارك بعد الإفراج عنه في كثير من المهرجانات والملتقيات العربية والعالمية، ولكن لم يتح له أن يقرأ قصائده في أي مؤسسة ثقافية سورية.

• اعتقل فرج بيرقدار في 1987 بعد فترة "تخفي" وملاحقة دامت لأربعة سنوات وحين كانت ابنته في الثالثة، حكمت عليه محكمة أمن الدولة العليا بسوريا بالسجن 15 سنة في عام 1993 بعد ست سنوات من اعتقاله ليكمل بعد ذلك تغريبته في سجون المخابرات السورية، ولم تفلح المحاولات الدولية والحملات، التي أطلقت للإفراج عنه سوى في عام 2000، ليخرج للنور وابنته على مشارف الجامعة.

• دعي للإقامة في ألمانيا ثمانية شهور في ضيافة مؤسسة هاينرش بول وذلك في عام 2001.

• دُعي من قبل مؤسسة (شعراء من كل الأمم) للإقامة في هولندا لمدة عام، اعتباراً من في عام 2003, وقد حاضر خلال هذا العام في قسم اللغة العربية بجامعة ليدن.

• في 10/27/ 2005 سافر إلى السويد بدعوة (من مدينة ستوكهولم ونادي القلم السويدي) لمدة عامين ضيفاً تحت لقب "كاتب المدينة الحرة"، وقد قرر بعد ذلك البقاء في السويد.

• صدر له خمس مجموعات شعرية وكتاب عن تجربة السجن.

• صدرت عدة ترجمات لبعض كتبه ولجانب من شعره إلى الفرنسية والإنكليزية والهولندية والألمانية والاسبانية والكاتالونية والسويدية, والليتوانية..

• حاز على جائزة الكلمة الحرة الهولندية، وهي ليست أول جائزة تنالها. إذ حاز قبل ذلك على جائزة هلمان/هامت 1998 وجائزة نادي القلم العالمي 1999.

يا أرضنا.. شهداؤنا: نوصيك بهم خيرا

في سورية فقط: شهيد يغسل شهيدا

لم يكن يعرف الشهيد عبد المنان الشقحبي بأنه بعد خمسة أيام من تغسيله لصديقه الشهيد إياد عرب، بأنه سيغسل هو الآخر ويودع شهيدا على درب الحرية.

فقد استشهد اليوم عبد المنان في باب هود. صحيح أن جميع المتظاهرين يخرجون من بيوتهم يهتفون للحرية وهم لا يعلمون ان كانوا سيعودوا أم لا.. إلا ان الأحداث في سورية تحمل دلالات على صلابة المتظاهرين وعزمهم للمضي حتى تشرق الحرية في بلادهم.

الشهيدة الطفلة عفاف محمود السراقبي

عفاف ذات الأربع أشهر ذهبت مع عائلتها لطرطوس وبعد 16 يوماً سلموها لعمها شهيدة وعلى جسدها الصغير آثار التعذيب وما زال والداها قيد الاعتقال..

شمعات الحرية . . معتقلونا

المعتقل الحر محمد غازي كناص

محمد غازي كناص صحفي ومدون وناشط على الفيسبوك ولديه مدونة شخصية وله عدد من المقالات، وكان يعمل في إحدى المطبوعات المحلية، تعرض في الأشهر الأخيرة لملاحقات الأمن بين سراقب وبين دمشق، وقد اعتقلته بعد خروجه من بيته في دمشق.

الدكتور فارس الزاعوقي

من مواليد 1963/6/5، رغم مكانته الأجتماعية المرموقة ورغم الضغوط الأمنية عليه خرج مع الجموع لينطق بكلمة الحق وكان من أول المشاركين في المظاهرات.

وبالاضافة الى مشاركاته الفعالة في المظاهرات السلمية، كان الطبيب الأول الذي يداوي الجرحة والمصابين حيث انه ضحى بالكثير من أجل الثورة وكان يجري عمليات بامكانيته المتواضعة.

وعلى إثر ذلك تم اقتحام منزله واعتقاله في صباح السبت 2011/8/20. وكان ذلك أول اعتقال له. وأفرج عنه في عصر الخميس 2011/8/25 .

وبعد الافراج عنه خرج أكثر صرامة وقوة ولم يزده ذلك سوى عزماً و قوة على إسقاط النظام.

وبقي على هذه الحال حتى جمعة 2011/9/16 حيث تم اقتحام منزله واعتقاله مع ابنه وتخريب سيارته الخاصة.

وبقي معتقل هو وابنه حتى تاريخ 2011/10/5

وتابع مسيرته السلمية بالمقاومة المدنية اللاعنفية في طريق الحرية وضحة بكل ما يملك من أجل الشعب والحرية.

وأخر مرة قام الأمن باعتقاله في تاريخ 2011/11/24 ولا زال معتقل حتى هذه اللحظة.

يا نحن

مزاد علني . . . للدماء

■ سعاد يوسف

إلى باسل السيد

أمي...

ها أنذا أصبحت شهيداً...

لا لم أخف، ولم يكن موتي شاعرياً أو مؤثراً... حدث في لحظة لا تختلف عن غيرها من اللحظات... هي لحظة دخلت فيها الرصاصة جمجمتي، دخلت ذلك الرأس الذي طالما أتعبك، وتشاجر معك عن قصد أو غير قصد...

لا لن نتشاجر بعد اليوم... سأحبك كثيراً وستفتقدينني كثيراً...

فكرت بكِ في تلك اللحظة... فقط بكِ... فكرت كيف ستستقبلين خبر استشهادي، وكم ستبكين... فقط عندما تخيلت وجهك الحزين، تمنيت لو يعود بي الزمن إلى الوراء... كنت سأبتعد عن تلك الرصاصة قليلاً، لأوفر عليك دموعاً لا تليق بكِ...

أمي...

غداً أو بعد غدٍ سيدق "قصي" بابنا... سيسلم عليكِ ويقبل يدكِ... وسيسألكِ عن القميص الذي استشهدت وأنا أرتديه... لا تحزني... هم سيأخذوه إلى "معرض" في بلد آخر... معرض عن الثورة السورية... معرض عن بطولات الثورة، ودمائها... عن ضحكات الثورة ودموعها... قالوا لقصي أن قميصي قد يباع بآلاف الليرات، وأنهم سيعطون تلك الآلاف لعائلات محتاجة... لا تحزني فقميصي سيطعم أطفالاً فقدوا والدهم، وأمّهات فقدنَ أبنائهن، كما فقدتيني أنتِ...

أرأيتِ يا أمّاه؟

دماؤنا أصبحتْ للبيع...

أصبحنا مجرد صور ستعرض في مكان لم نره في حياتنا...

سبكي علينا أناسٌ سيمرون أمام الصور، سنستثير عواطفهم للحظات وندفعهم كي يمدوا أيديهم إلى جيابهم، ويخرجوا منها أرزاً، وطحيناً لنطعم به من لم يمتْ بعد...

أمّاه...

قبّلي قميصي للمرة الأخيرة وأرسليه فهو سيجلب لسوريا حياةً جديدة

القـــوريـــة

■ هند عيسى

تقع القورية على بعد (55) كم جنوب شرق دير الزور، وعلى بعد (13) كم جنوب شرق الميادين وترتفع عن سطح البحر نحو (77) م. على الضفة اليمنى لنهر الفرات العظيم وسط سهل زراعي خصب، تتكئ مدينة القورية وبيوتها الريفية الجميلة. ويبلغ عدد سكانها حوالي (45) ألف نسمة وهي تعتبر ثالث أكبر مدينة في المحافظة بعدالبوكمال والميادين.

تتربع القورية على أرض خصبة بين الجرف الصخري للبادية ونهر الفرات وجنوب شرق مدينة الميادين على مصب نهر سعيد الخير بن عبد الملك بن مروان في نهر الفرات الذي كان يسقي سهل الرحبة على ضفة الفرات الغربية.

في العهد الحديث استعادت وجودها باسم (الكريّة) بتخفيف الكاف وتعني المرتفع المأهول بالسكان وتتشكل مع بلدة (الطيانة) وقرية (الشنان) مجتمعاً واحداً ينتمي إلى عشيرة القرعان إحدى بطون قبيلة العكيدات وقد برزت هذه العشيرة أيام الخلافة العثمانية وعرفت بمقاومتها الشرسة للاحتلال الفرنسي وتميز أبناؤها بالمعرفة والكرم والشهامة ولم تخضع القورية للاحتلال وبقيت عصية على الاحتلال إذ قام أبناؤها بمهاجمة دورية فرنسية وقتل أفرادها، فردّ الاحتلال ودمر القرية آنذاك وهجر سكانها إلى البادية، وأخذت القورية بالتطور شيئاً فشيئاً بعد الاستقلال وكان لأبنائها الدور الكبير في تطورها.

من الأحداث المهمة في بلدة القورية:

2011/6/29: خرج الآلاف من أحرار القورية يهتفون لإسقاط النظام ويؤكدون على سلمية الثورة. جالوا في شوارع البلدة مرددين عبارات التنديد بالقمع الوحشي لنظام الأسد المجرم الفاشي.

2011/7/30: انشقاق في منطقة القورية لعناصر عن الجيش الذي يقوم بعمليات في المنطقة. وكان العقيد رياض الأسعد المنشق عن الجيش السوري أعلن أنه يملك أعداداً كبيرة جداً من القوات المساندة له. وأشار إلى أن هذه القوات اشتبكت مع الجيش.

2011/8/22: قوات الأمن والشبيحة والجيش الأسدي يحاصران بلدة القورية تمهيداً لإقتحامها في وقت ارتفع فيه عدد الشهداء إلى 15 مدنياً، حيث اقتحم الجيش الأسدي المدينة، وشن حملة اعتقالات في أوساط المدنيين استمراراً لحملة القمع ضد المحتجين على الرغم من تعهد الرئيس السوري بشار الأسد بوقف القمع.

وقال اتحاد تنسيقيات الثورة السورية: إن عملية الاقتحام تمت بـ 55 دبابة وعدد كبير من المدرعات والقوات الأمنية. بينما أفاد أحد الأحرار من أبناء البلدة أن عصابات الامن أطلقت النار بكثافة على البلدة صباحاً، وقام الشبيحة بحرق بعض المنازل بينما نفذ عناصر الأمن المجرمون حملة اعتقالات واسعة شملت الأطفال.

استمرت المظاهرات السلمية طيلة شهر رمضان والمسائيات بعد صلاة التراويح رغم التضييق المستمر وإطلاق الرصاص من قبل الشبيحة والدبابات والأسلحة الثقيلة.

2011/9/29: أعلنت لجان التنسيق عن دخول دبابات إلى مدينة القورية حيث انتشر القناصة على الأسطح.

12 /2011/11: تم قصف البلدة بالأسلحة الثقيلة وانقطاع التيار الكهربائي عنها.

2011/12/12: قام الأهالي الأحرار بوضع أوراق في صناديق الاقتراع تحمل عبارات التأييد ل"الثورة السورية العظيمة" وتشيد بالمدن المنتفضة مثل حمص وحماة ودرعا. ومن أبرز تلك العبارات: "إعدام السفاح" و"ارحل" و"يسقط".

أحرار القورية يتظاهرون يومياً منذ بدء الثورة ويقدمون الشهداء في سبيل حرية سوريا، وهم لم يتوانوا عن نصرة أهلهم في جميع قرى دير الزور والمدن الأخر كحمص الأبية وحماة ودرعا. فهم يخرجون في مظاهرات يومية ومسائية رغم القتل والتنكيل الذي تمارسة كتائب الأسد ورغم المداهمات والاعتقالات.

ثورة القورية حتى النصر ..

إحصائيات:

1 - عدد المعتقلين : 27 معتقل

2 - اسم أول معتقل في القورية: ابراهيم السعود بتاريخ 2011-05-01

3 - عدد الشهداء: 10

4 - أول شهيد سقط من القورية : عادل خليف الشحاذة بتاريخ 2011/5/6

ثورة لوجيا

يوميات سورية (http://syriadaily.net)

سوريتنا | رشا محمود

يتناول هذا الموقع قصصاً سورية وقعت خلال الثورة يروي تفاصيلها أشخاص كانوا شاهدين عليها وغايته توثيق إنسانية الثورة السورية من خلال اعتبار سوريا شخصية تكتب يومياتها من خلال أبنائها، منعاً لأن يتحول شهداء سوريا ومعتقلوها إلى أرقام مجردة تدرج في قوائم صماء. فالهدف هنا هو تسليط الضوء على قصص هؤلاء الأبطال وتدوين مشاعر السوريين المناضلين أثناء ثورتهم.

يقوم فريق عمل الموقع بتحرير هذه الروايات المأخوذة من شهود عيان كما يستمد مواده أيضاً من خلال مشاركات الزوار ويهدف فريق العمل إلى إخراج كتاب يضم جميع هذه الروايات.

عدد الزوار:

انطلق الموقع في شهر مايو 2011 وزاره منذ ذلك الوقت ما يقارب 58 ألف زائر إلا أنه لا يظهر بسهولة في محركات البحث.

أكثر الكلمات المفتاحية دلالة عليه هي"ثورة، بابا عمرو، حمص" .

المسؤول عن الموقع:

فريق عمل شبابي خارج سوريا وداخلها، يقوم بتحرير المواد وإعادة صياغة بعض منها لتلائم النشر، ويعتبر الموقع عضواً في الهيئة العامة للثورة السورية وداعما لحركة ميثاق سوريا.

البرنامج المستخدم لإدارة الموقع:

Joomla

مميزات الموقع :

- الموقع يحاكي اللهجة العامية القريبة من الشارع ومن الأشخاص الذين عايشوا هذه التفاصيل اليومية للثورة السورية.
- تم تقسيم الموقع إلى خمس تصنيفات: من قلب الحالة، بحبك يا بلدي بس، اللّه وإيدنا وسوريا، بدمهم كتبوا الحرية، إيد وحدة.
- تصنيف "من قلب الحالة": يدرج هذا التصنيف تدوينات كتبها النشطاء أو الناس العاديين من قلب حالة الثورة والذين كانوا شهوداً على الأحداث البارزة كالاعتصامات أو المظاهرات.
- تصنيف "بحبك يا بلدي بس": يعتبر باباً للانتقادات الاجتماعية سواءً في ظل الثورة أو خلال الفترة التي سبقتها.
- تصنيف "بدمهم كتبوا الحرية": يروي قصصاً عن الشهداء والمعتقلين ويستعرض جانباً من معاناتهم بلسان حالهم أو بلسان أشخاص رافقوهم من أقاربهم أو أصدقائهم.
- تصنيف "إيد وحدة ": هنا ستجد بعض القصص الحقيقية القصيرة عن وحدة وتعاون وتكافل الشعب السوري العظيم في ظل الثورة ومصاعبها.
- يستفيد الموقع من ميزات المواقع الاجتماعية في تتبع التحديثات عن طريق صفحة فيسبوك، تويتر، RSS . كما يتيح إمكانية البحث خلال الموقع.

سلبيات الموقع :

- لم يقدم الموقع صفحة تعريف خاصة به.
- اللهجة العامية قد تمثل عائقاً لغير السوريين في الاطلاع على محتويات المواد المكتوبة.
- تصنيفات الموقع لا تعطي صورة واضحة عن محتوياته، ينصح بإضافة توصيف مختصر لكل تصنيف.

سوريتنا
أسبوعية تصدر عن شباب سوري حر

هيئة التحرير - الناشرون:
■ جواد أبو المنى ■ حمزة الجندلي ■ حنين اليوسف ■ خالد كنفاني ■ سعاد يوسف ■ سلوى الخطيب ■ غسان فارس ■ ليلى السمان ■ ماريا الحداد ■ ياسر مرزوق

صفحتنا على فيس بوك: www.facebook.com/pages/Souriatna
للمراسلات: souriatna@gmail.com souriatna.wordpress.com
نرحب بكل المساهمات والمشاركات، بعد مراجعتها وخضوعها لشروط النشر

الشهر العاشر والخطاب الرابع: "عقلية القلعة" ضد روح الشرائع

■ صبحي حديدي

سواء أفرط في شرب الماء، ثمّ انتبه بعدئذ أنّ الأمر قد يُعتبر دلالة على 'توتر'، كما قال؛ أو أقلع عن الماء تماماً، ظاناً أنّ هذا سوف يعطي الانطباع المعاكس، بالاتزان والاسترخاء والتماسك؛ وسواء أخطأ في لفظ آية قرآنية، أو أطنب في مديح العروبة، وتهكم على 'المستعربين'، أو ارتدّ إلى بعض مفردات أبيه (تعبير 'الإخوان الشياطين' مثلاً)، هو الممسوس بعقدة التفوّق على الأب؛ فإنّ خطاب بشار الأسد الرابع ردّد، طيلة ساعتين إلا قليلاً، أصداء ما أنتجته، وأعادت إنتاجه، الخطابات الثلاثة السابقة. وحين ظهر في ساحة الأمويين ـ 'فجأة'، كما قيل للحشود المحتشدة والمحشّدة ـ كان لافتاً أنّ مديح الأمويين على هذا النحو الاستعراضي أضاف الإهانة إلى جراح أهل حيّ الميدان، على سبيل المثال، حيث سقط مواطنون سوريون أبرياء ضحية أحدث ألعاب النظام الدموية، الهادفة إلى ترهيب البلد وخداع العالم. في خطاب مدرج جامعة دمشق لم يكترث الأسد بتقديم كلمة عزاء واحدة لشهداء عملية التفجير الإرهابية تلك، كما لم يجد ضرورة لمواساتهم، وهم أقحاح الشام، حتى في ذروة تغنّيه بأمجاد بني أمية!

والأضاليل الأحدث عهداً لم تختلف عن سابقاتها إلا في ثلاثة إنذارات، حرص الأسد على إلباسها لبوس 'الثبات' على الموقف، و'الصمود' في وجه المؤامرة، وردّ الكيد إلى نحور الخصوم؛ ليس دون أن يذهب خطوات أبعد في إعادة استهلاك أكاذيب فاضحة مثل عدم وجود أوامر بإطلاق النار على المتظاهرين، في المثال الأبرز. وهكذا، كان إنذاره الأول يقول إنّ النظام ينوي، قريباً، تعميم صيغة 'جماهيرية' من الخيار الفاشي الصريح، هذه المرّة، سبق له أن طبّقها في الأسابيع الأولى من عمر الانتفاضة، في مناطق محددة من قرى طرطوس وبانياس وجبلة. ما كان البعثيون الأوائل يسمّونه 'الجيش الشعبي'، أو 'الحرس القومي' في حقبة أخرى، يسمّيه النظام 'دوريات' شعبية مسلحة لا تتمثل وظيفتها في حماية المواطنين، كما توحي مدلولات تسمياتها، بل في حماية... الجيش!

هذا العكس للأدوار لا يستهدف إسقاط المفهوم المنطقي والوطني الشائع الذي يقول إنّ الجيش هو الذي يحمي الشعب، فحسب؛ بل يسعى إلى إبطال مهامّ الجيش في الدفاع الوطني، ضدّ إسرائيل على سبيل المثال، وزجّه في معركة واحدة وحيدة، هي أمن النظام، ضدّ أعداء النظام، بالتكافل والتضامن مع المنظمات والمفارز والخلايا المدنية/ شبه العسكرية، التي يمكن أن تنوب عن قطعات الجيش النظامية في حصار المدن واجتياحها واستباحتها. الأسد أوجز الصيغة في هذه الفقرة، التي لعلها كانت أخطر ما ألمح إليه في خطابه الأخير: 'علينا أن نتوحد وأن نحسم، ولكن المحور الأساسي هو كيف يقف المواطن مع الدولة. وفي بعض الحالات دخل الجيش إلى مدينة وكان هناك من يسيطر عليها من الإرهابيين، ولا أريد أن أقول يحتل، فقام أشخاص من سكان المنطقة بتشكيل فرق لحماية مجنبات الجيش لكي يدخل. وفي مناطق أخرى شكلوا دوريات مراقبة لكي يمنعوا الإرهابيين من القيام بأعمال القتل والتخريب أو الفتنة في بعض المناطق. وفي مناطق أخرى كانوا 'يدلون بمعلومات'.

وكعادة أقواله التي يرتجلها، ولا تكون مدوّنة أصلاً في الخطاب المكتوب مسبقاً، كان هذا التصريح هو الأوضح حتى الساعة، لجهة الكشف عن مخططات النظام في تجييش المدنيين، ليس من خلال ما اعتاد حزب البعث تسميته بـ'المنظمات الشعبية'، أي اتحادات ونقابات الطلاب والشبيبة والعمال والفلاحين، فضلاً عن موظفي فروع وشُعَب الحزب في المناطق الأكثر التفافاً حول النظام؛ بل في تشكيلات مستحدثة خصيصاً لهذه الغاية، الفاشية في الشكل كما في المحتوى. والنظام، غنيّ عن القول، سوف يلجأ إلى عدد من طرائق الفرز الدقيقة، الطائفية أو المناطقية أو العشائرية، التي تتيح تشكيل تلك الوحدات المدنية، وعسكرتها وتسليحها وتدريبها، بحيث تستهدي بفلسفة تشكيل الفرقة الرابعة، فتكون أشبه بوحدات مصغّرة على شاكلتها، إذْ أنها في نهاية المطاف سوف تعمل تحت إشراف وقيادة ضباط تلك الفرقة، مباشرة أو بالإعارة والتكليف.

الإنذار الثاني مزدوج الوظيفة، أو هو يبعث برسالة إلى الأنصار في الداخل، إسوة بالخصوم في الخارج: أنّ أوراق التوت التي ظلّ النظام يحرص على تقلد بعضها منذ انطلاق الانتفاضة (مثل المضيّ في مشاريع 'الإصلاح'، وإطلاق 'الحوار الوطني'، وتجميل الصورة البشعة عن طريق هذه الحملة الإعلامية أو تلك، ومغازلة الجامعة العربية، وإفهام 'الحلفاء' الروس والإيرانيين أنّ النظام منفتح على الحل العربي...)، لم تعد ذات فائدة. لا هي أخفت عورة النظام، ولا غسلت يداً مضرّجة بالدم، ولا جمّلت صورة لرأس النظام نفسه؛ بل صار واضحاً أنها لا تنجز إلا نقائض هذه الأغراض (الحملة الشعواء على الجامعة العربية، وعلى 'أكثر من ستين محطة تلفزيونية في العالم مكرسة للعمل ضد' النظام، وعلى حوار شبكة الـABC الشهير، في بعض الأمثلة). وكان لافتاً أن يصرّح الأسد بأنه لا يشاهد نفسه على التلفاز، أبداً، وكأنّ في المشاهدة نقيصة؛ او كأنها لا تتيح له ممارسة بعض النقد الذاتي، في أقل تقدير!

ورغم ذلك يبدو الأسد مولعاً، أكثر من أي وقت مضى، بتلك المعطيات 'الافتراضية' لسلسلة المعارك التي يزعم أنّ نظامه، 'الممانع' و'المقاوم' و'المعادي للإمبريالية'، توجّب أن يخوضها ضدّ القوى الخارجية، والتي اعتاد على شرح عناصرها وتفصيل أبعادها والتفلسف حول أساليب مواجهتها؛ منذ خطابه في أوّل مؤتمر قمّة عربي يحضره بعد توريثه، في العاصمة الأردنية عمّان، ربيع 2001، مروراً بذاك الذي هجا فيه 'أشباه الرجال' من الزعماء العرب، وصولاً إلى خطابه الرابع الذي لا يكاد يستثني طرفاً من المؤامرة على نظامه. 'الأقنعة سقطت الآن عن وجوه هذه الأطراف'، يبشّر الأسد أنصاره، فباتت أجهزته 'أكثر قدرة على تفكيك البيئة الافتراضية التي أوجدوها لدفع السوريين نحو الوهم ومن ثم السقوط'؛ وهي بيئة كان يُراد لها أن تؤدي إلى هزيمة نفسية ومعنوية، تؤدي لاحقاً إلى الهزيمة الحقيقية'. أمّا المطلوب في الحصيلة فهو الوصول إلى 'حالة من الخوف' وهذا 'يؤدي إلى شلل الإرادة، وشلل الإرادة يؤدي إلى الهزيمة'، في ترتيب الأسد... اللاإفتراضي، بالطبع!

والحال أنّ هذا التأثيم للعالم الخارجي، الذي يعبر الأزمنة والأمكنة والأشخاص، من اتفاقية سايكس ـ بيكو، إلى رفيق الحريري، إلى باربره والترز؛ وهذا الإعراض عن ارتداء أوراق التوت، ونفض اليد حتى من الحملات الإعلامية مدفوعة الأجر، هما أقرب إلى خيار قسري في جانب موضوعي منهما، بسبب فشل محاولات توظيف السياسة الخارجية والإعلام والدبلوماسية لصالح معركة النظام ضدّ الشعب، خاصة حين أخذت تنتقل من طور عنيف وشرس إلى آخر أشدّ شراسة ودموية. بيد أنّ الخيار نافع للنظام في جانب آخر، سيكولوجي وتعبوي غالباً، ويشكّل جوهر الإنذار الثالث: إقناع الموالاة، خاصة تلك الأعلى إخلاصاً، بطبائع 'عقلية القلعة'، والصمود في المتاريس، والتدرّب على الحصار، والإعداد للمعارك الختامية الفاصلة... حيث الوجود أو العدم!

وفي تطبيق هذا الإنذار الثالث، واختبار تجلياته على الأرض، ليس من ميدان أكثر انطواء على المخاطر من ذاك الذي يمارسه النظام في مضمار التحريض الطائفي، والتلويح بالحرب الأهلية، وتخويف الأقليات من المستقبل، وترسيخ خلاصة مفادها أنّ بديل النظام هو الفوضى والتفكك والتشرذم وتقسيم البلد، فإمّا النظام وإمّا الطوفان. وإذْ يغدق الأسد المديح على أجهزة الأمن والجيش، أي أجهزة النظام وجيشه الموالي تحديداً، من جهة؛ ولا يتردد في مطالبة المواطنين بالإنخراط أمنياً مع النظام، والقتال في صفه ضدّ الشعب، من جهة ثانية؛ فإنّ روح الشرائع هي التي تُقتل كلّ يوم، من جهة ثالثة، ومعها تنبسط على أجهزة الدولة تلك الفاشية المفتوحة المنفلتة من كلّ عقال، حيث خطّ الدفاع الأخير في القلعة المحاصَرة هو القانون الأعلى، والمتراس الأخير.

الأقصى في ابتذال التحريض ضدّ الانتفاضة أن يحيل الأسد معاناة المواطنين من ندرة وقود التدفئة والغاز والكهرباء إلى هجمات 'الإرهابيين' على القطارات التي تنقلها أو المعامل التي تنتجها، وكأنّ المواطن غافل مغفل لا يعرف حدود مسؤولية الدولة عن تلك الندرة، ولا سياقاتها الراهنة التي تتصل بإصرار النظام على تسخير كلّ الموارد لخدمة معركته ضدّ الشعب، وليس لكي يحظى الشعب بالحدّ الأدنى من الطاقة اليومية الضرورية. هنا نموذج يختصر ذلك الابتذال: 'هل من الممكن أن يكون الثائر ضد المواطن يقطع عنه الغاز الذي يحتاجه يومياً في أمور الطبخ والطعام لكي يموت من الجوع، ويقطع عنه المازوت والوقود لكي يموت من البرد، ويقطع عنه الدواء لكي يموت من المرض، ويقطع الأرزاق، ويحرق المعامل، والمنشآت الحكومية والخاصة لكي يجعل الفقراء أشد فقراً؟'...

وللوهلة الأولى قد يلوح أنّ هذه الاتهامات لا تنطلي على أحد، وإلا فإنّ هذا 'الثائر' الذي يتحدّث عنه الأسد أقرب إلى جيش جرار جبار، قادر على شلّ الحياة اليومية وإعمال الدمار في كلّ مفاصلها الحيوية. بيد أنّ لهذا التحريض وظيفة أخرى خافية، استهدافية ومدروسة، تتوجه إلى قطاعات محددة من جمهور النظام وشاغلي القلعة المحاصَرة دون سواها، وثمة شرائح لا يُستهان بها من هؤلاء لا يصدّقون الاتهامات، وسواها كثير، ويستقبلونها مثل إسفنجة ماصة، فحسب؛ بل هم صاروا أسرى استيهامات شتى لامعقولة، عن سيناريوهات كارثية ومذابح آتية وتصفيات طائفية ودينية وعرقية... تجعل التشبث بالمتراس غاية وجودية دفاعية صرفة، وليس اصطفافاً خلف آل الأسد، أو انحيازاً إلى مكوّنات النظام السياسية والعسكرية والأمنية والاستثمارية، أياً كانت، وكيفما تنوّعت.

الخطاب الرابع أكد حلقة جديدة من الصدام بين عقلية القلعة التي يهتدي بها نظام الاستبداد والفساد، وروح الشرائع التي تتطلع اليها سورية المستقبل؛ كما ذكّر الناس بما لم ينسوه في أيّ يوم حول طبائع هذا النظام، رأسه مثل أطرافه. وإذا جاز للمرء أن يختار الجملة الأكثر تعبيراً عن تلك الطبائع، فإنّ هذه قد تكون الأجدر حقاً بالصفة: إنّ أهم شيء ألا يظهر لدينا طبقة محتكرة تستغل الأزمات لكي تبني الثروات على حساب قوت ودماء الشعب'. يا سبحان الله، أنظروا مَن يتحدّث!

جريدة القدس العربي | 12 / 1 / 2012

قانـــون الإيجـــار

■ ياسر مرزوق

نقلاً عـن الدكتور "إمام عبـد الفتاح إمـام" فـي كتـاب "الطاغيـة" صفحة 91: "كيفية محافظة الديكتاتور على حكمه:

1 - تدميـر روح المواطنيـن وزرع الشـك وانعدام الثقة فيما بينهم وجعلهم عاجزيـن عـن عمـل أي شـيء، وبذلـك تعويـض للنـاس عـن الخسـة والضعـة والعيش بلا كرامة.

2 - القضـاء علـى البارزيـن مـن الرجال.

3 - منع التجمعات.

4 - حظر التعليم.

5 - إفقـار رعايـاه حتـى ينشـغل المواطنـون بالبحث عن قـوت يومهم، فلا يجدون عندهم من الوقت ما يتمكنون فيه من التآمر عليه".

ولعلـه يفيدنا هنـا تذكر صفحةٍ من ماضينا، إن اسـتلام الأمويين للسلطةً جاء بعد حـروب بين علـي ومعاويـة وقد رأى معاويـة أنَّ اسـتباب الأمر له ثـم تحويله إلى وراثة يتطلب تغيير البنية الاجتماعية والاقتصادية القائمة، فهو القائل:

سـأحرمكم حتـى يَـذلَّ صعابكـم وأبلغُ شيءٍ في صلاحكمُ الفقرُ

إن أول قانـون نظـم علاقـة الإيجار هو القانون رقـم /26/ الصادر بتاريخ 29 كانـون الأول 1943 والـذي كان الخطـوة الأولى لإبـراز العلاقة الإيجارية كتشـريع خاص وعُدّل هذا القانون عدة مرات لسد الثغـرات التـي أظهرها التطبيـق العملي لهذا القانون.

بصدور القانون المدني بالرقم /48/ تاريخ 18 أيار 1948 والذي حل محل مجلة الأحـكام العدليـة وألغيت بموجبـه أحكام قانون الإيجار سـالف الذكـر، وأخضع عقد الإيجـار كسـائر العقـود لأحـكام القانون المدنـي من حيث أركان العقد، وشـروطه وخصائصـه متجاهـلا الميـزة الخاصـة للعلاقة الإيجارية وحساسيتها.

عـام 1950 أصـدر المشـرع القانون رقـم /63/ الخـاص بعقـد الإيجـار لحـل المشـكلات الناجمـة عن تطبيـق القانون القديـم، إلا أنـه ظهـرت أثنـاء تطبيقـه مشـكلات كانـت حافـزاً لصـدور القانون رقـم /111/ لعام 1952 والذي ألغى جميع النصوص والأحكام السابقة وأتى بتنظيم جديد للعلاقة الإيجارية الهدف منها حماية المستأجر ومصلحته أولاً.

مع انقلاب الثامن من آذار أخذ قانون الإيجار ملمحاً سياسـياً واجتماعياً واتجاها يسارياً متطرفاً في حماية المستأجر الأمر الـذي أدى إلى عـزوف الكثيرين عن تأجير أملاكهم واسـتثمار الأمـوال في قطاعاتٍ أخرى.

عن "باتريك سـيل" في كتابه "الأسد والصـراع على الشـرق الأوسـط" صفحة 178: "شرع نظامٌ جديد يضفي على البلد طابعـه التطهيـري الحنبلي المتشـدد.... وبمـا أن امتلاك أكثر من بيـتٍ واحد صار لا ينظر له بعين التشـجيع، فحدثت هجمة على بيـع العقارات وهـرب القادرون على الهـرب خارج البلد... وفي هـذه الأثناء بدأ الفقـراء والأقليـات والمحرومـون من كل نـوع يغمـرون المـدن كالطوفـان بعد أن شـعروا بوجـود تغيير لصالحهـم، وبذلك غيـروا نمط الحياة في تلك المدن... وبدى النظام بمتابعته لبرنامجه شديد التعصب مذهبياً وكأنه يحاول تحقيق شيء لا يقل عن تحويل طابع سوريا وشخصيتها".

صدر المرسوم التشريعي رقم /24/ لعـام 1965 الـذي قضـى بتخفيض بدل إيجـار العقـارات بنسـبة 25٪ فـي الوقت التـي قفـزت فيـه قيمـة العقـارات قفزةً هائلـة (بسـبب هجـرة أهـل الريـف إلى المدينة) بلغت في معظم الأحيان أكثر من عشـرة أضعاف قيمة العقار حيـن التأجير أو بتاريـخ التخفيض القانونـي مما أفقد عملية التأجير التوازن المعقول والمطلوب لاستمرار علاقة إيجارية سليمة، مما اضطر المشـرع لإصدار القانون رقم /178/ لعام 1970 والذي فاقم المشـكلة حين خفض الأجور أيضاً بنسبة 25٪ من قيمة العقار، ورجوعاً للأسـباب الموجبة لهذا المرسـوم فإن المشـرع يرجع السـبب فـي ذلك إلى الارتفاع المفاجئ لقيمـة العقارات وتأثير هـذا الارتفاع على تقدير قيمة العقار عند التخمين، فيقرر فـي المـادة الأولى منه بتخفيض إيجـار العقارات المؤجرة بتاريخ صـدوره ولـم يكتـفِ بذلـك بل إنـه منع المالك المؤجر من الادعاء بالغبن بالنسبة إلـى العقارات التي خفضت بدلات إيجارها وفقاً لأحكام هذا المرسوم مهما امتد زمن الإشغال.

كمـا لوحـظ أن بعـض المالكيـن لجـأوا إلـى بيـع عقاراتهـم صوريـاً بغية إخلاء المسـتأجر بحجة تغيـر مالك العقار ومنعـاً مـن إسـاءة اسـتخدام هـذا الحق ألغى المشـرع فقرةً من القانون السـابق المتعلقة بالإخلاء لعلة السكن واستعاض عنها بنص تشـريعي آخر وقد أحدث بهذا التعديـل وبمحاولته منـع المؤجر بالادعاء بالغبن تجاه المسـتأجر وحرمانه من إخلاء عقاره لسكنه الشخصي ضرراً بالغاً لعددٍ كبيـر مـن المواطنيـن غيـر المسـتغلين الذيـن لا يملكـون إلا بيتـاً واحداً اشـتروه مـن مدخراتهـم الخاصة لسـكناهم وقد يضطـرون لتأجيـره لفتـرة مـن الزمـن لحاجتهـم المادية، إضافةً إلى أنه أثر على تجميـد الحركـة العمرانية والتـي كان لها أثرها على الحيـاة الاقتصادية، الأمر الذي أحدث تذمراً وشكوى لدى المواطنين عامةً لكن "الرجعية" وحسـب تقسيمات النظام الجديد لا يحق لها التذمر.

عـام 1971 لفـق المشـرع تعديـلاً للقانـون /187/ أنـف الذكـر بالرقم /13/ تاريخ 4 شباط والذي حدد تخفيض بدلات الإيجار حيـث لا يجوز أن ينزل بدل الإيجار عن النسب القانونية المحددة في المرسوم التشـريعي رقم /111/ لعـام 1952 لكن على أسـاس القيمـة المقـدرة للعقار من قبل الدوائر المالية والتي توصف بأحسـن الأحوال بأنها قديمة وضئيلة لا تتناسب مع قيمة العقارات المتزايدة يوماً بيوم.

اسـتمرت حالـة العقـارات المؤجـرة في سـوريا تحت عنـوان ا لتمديد الحكمي للمسـتأجر والبـدلات الضئيلـة لعقـاراتٍ تضاعفت قيمها بشراسـة محـل تندر في الشـارع السـوري، تصل قيمة بعضٍ هذهِ العقـارات للملايين ويدفع المسـتأجر بدلاً يتـراوح بين 5000 و30000 ليرة سـورية سـنوياً، عام 2002 وتحت شـعار "تحديث التشـريع" ومع تغير التركيبة الاقتصادية والاجتماعية بشكل جذري في سوريا صدر قانـون الإيجار رقمَ /6/ والذي ألغى أحكام قانون الإيجار رقم /111/ لعام 1952 وكل تعديلاته، وجاء بأحكام جديدة توخى فيها المشـرع نسـبياً صالح المؤجر والمستأجر وكان سـبيلاً لحـل مشـكلاتٍ كثيرة كانت قائمة في ظل القانون السابق، وهي:

1 - معالجة أزمة السـكن التي يعاني منها السوريون إذ أن هناك عشرات الآلاف مـن الشـقق السـكنية الشـاغرة منها ما هـو جاهز ومنها ما هـو قيد الإنجاز أحجم مالكوهـا عـن تأجيرهـا لمعاناتهـم مـن سلبيات قانون الإيجار.

2 - الغبـن اللاحـق بالمالكين الذين تشـغل الدولـة عقاراتهـم بأجـور تافهة وتمنعهـم مـن تقاضـي أجرتهـا العادلـة بمنعهـم مـن الادعـاء بالغبـن عـن أجور عقاراتهم وإعادة تخمينها.

3 - الغبن اللاحق بالمالكين المؤجرة عقاراتهـم للسـكن قبل عـام 1970 حيث بقيت الأجرة على مـا كانت عليه منذ ذلك التاريـخ وحتـى الآن رغـم ارتفـاع قيمـة العقار وتدني قيمة النقد.

إلا أن القانون وبالرغم من حسـناته لـم يـأتِ منصفـاً بالشـكل المطلـوب فاستمرار قانون 1970 الجائر ثلاثين عاماً أفـرز أمـراً واقعاً عجز حتى المشـرع على تلافـي أضراره ومن أهـم التعديلات التي أحدثها القانون رقم /6/ لعام 2001 المادة الأولى:

أ) يخضـع تأجيـر العقـارات المعـدة للسـكن أو الاصطيـاف أو السـياحة أو الاسـتجمام أو المأجورة من أحزاب الجبهة الوطنية التقدمية أو من الدوائر الرسـمية أو المنظمـات الشـعبية أو النقابـات على مختلف مسـتوياتها أو الجمعيات أو الوحدات الإداريـة أو البلديات أو مؤسسـات القطاع العام أو المشترك أو المؤسسات التعليمية والمدارس لإرادة المتعاقديـن اعتباراً من تاريخ نفاذ هذا القانون.

(استثنى المشـرع العقارات المؤجرة لأعمـال تجاريـة أو صناعيـة أو حرفيـة أو مهنيـة أو علميـة منظمـة قانونـاً مـن التعديل السـابق، وابقاها خاضعة لأحكام التمديد الحكمي).

المادة /2/ - ب:

يحـق للمالك في العقـارات المؤجرة للسـكن فيمـا عـدا العقـارات المملوكـة للجهـات العامة أو المؤجـرة لها طلب إنهاء العلاقة الإيجارية واسترداد العقار المأجور للسكن المشمول بأحكام التمديد القانوني مقابـل التعويـض على المسـتأجر بمبلغ يعادل نسـبة 40٪ من قيمة البناء المأجور شاغراً وبوضعه الراهن.... وذلك بعد ثلاث سنوات من تاريخ نفاذ هذا القانون.

(اسـتثنى القانـون أيضـاً مـن حـق التخليـة العقـار المؤجر لإحدى الـوزارات والهيئـات والإدارات العامـة والوحـدات الإدارية والبلديات والمؤسسات والمنشآت العامـة وجميـع جهـات القطـاع العـام والمشترك والمصالح العامة وإداراتها).

بالإضافة إلى قائمة من التعديلات لها علاقـة بالإخلاء لعلة السـكنى والتخمين، المسـتأجر ومـن فـي حكمـه، أصـول المحاكمات والمحاكم المختصة قانوناً.

ولسد الثغرة وبتاريخ 27-12-2011 صـدر القانـون رقـم /32/ والـذي عـدل القانـون آنـف الذكر مـادة /1/ تضاف إلى المادة /2/ من قانون الإيجار رقم /6/ لعام 2001 وتعديلاته الفقرتان الآتيتان:

1 - يحق لمالك العقار المؤجر لأحزاب الجبهـة الوطنيـة التقدميـة أو الدوائـر الرسمية أو المنظمات الشعبية أو النقابات علـى مختلـف مسـتوياتها أو الجمعيات أو الوحدات الإدارية أو البلديات أو مؤسسـات القطـاع العـام والمشـترك طلـب إنهـاء العلاقة الإيجارية واسترداد العقار المأجور مقابـل التعويض على الجهة المسـتأجرة بمبلـغ يعادل 40٪ من قيمة البناء المأجور شاغراً وبوضعه الراهن....

2 - لا يجـوز تطبيـق نـص الفقـرة السـابقة علـى المؤسسـات التعليميـة والمـدارس المؤجـرة للـوزارات إلا إذا ارتأت الـوزارة المعنية عـدم الحاجة لهذه العقارات.

رغـم تراكم التشـريعات التي تعالج قضايـا الإيجـار إلا أن مشـكلة السـكن تتفاقم في سـوريا لغيـاب خطة حكومية حقيقيـة تحـل الأزمة بدلاً مـن الإجراءات الشكلية المتلاحقة، وأختم ناقلاً عن وليد طاهر من ديوان "حبة هوا" صفحة 26:

ملك، سلطان، رئيس، مدير، ناظر
مش فارقة كتير
أهي كلها أسامي
وكلهم مناظر!!

سعد اللّه الجابري (1894 - 1947)

■ ياسر مرزوق

سعد اللّه الجابري في أول حكومة بعد الاستقلال

ولد سعد اللّه الجابري في حي السويقة في حلب عام 1894 لأكبر العائلات الحلبية وأوسعها ثراءً ونفوذاً، أبوه عبد القادر لطفي الجابري مفتي حلب، درس الثانوية في مدرسة الرشدية ثم التحق بالكلية الملكية السلطانية في الأستانة عام 1910 لدراسة الحقوق، عام 1912 أسس مع مجموعة من الشباب العرب الجمعية العربية الفتاة، سافر إلى ألمانيا لمدة عامين ليعود بعدها ويلتحق في الجيش العثماني برتبة كوجك عام 1914.

مع انتهاء الاحتلال العثماني ودخول الملك فيصل إلى سوريا عاد الجابري إلى حلب ليبدأ مرحلة جديدة من النضال لنيل الاستقلال والدفاع عنه، بعد مؤتمر الصلح في باريس عام 1919 وتراجع الحلفاء عن وعودهم للعرب، انفجرت الثورات في سوريا ونشأت علاقة وطيدة بين سعد اللّه الجابري كقائد سياسي معبئ في الداخل وابراهيم هنانو كقائد عسكري في الريف، والتي على أثرها تتالت الحملات العسكرية والضغوط على الوطنيين في سوريا فأقر مؤتمر سان ريمو عام 1920 الانتداب وحوصر ابراهيم هنانو في جبل الزاوية لكنه تمكن من الانسحاب والهرب إلى الأردن فالقدس.

عام 1925 أسس الجابري مع الزعماء الوطنيين الكتلة الوطنية تحت شعار "استقلال سوريا بحدودها الطبيعية ولا مفاوضة قبل الجلاء"، وعندما أصر المفوض السامي "دوجو فنيل" على إجراء انتخابات في كل محافظة على حدىً رفضت الكتلة الوطنية ذلك فاعتقل الوجهاء في كل محافظة واعتقل من حلب سعد اللّه الجابري وأحمد الرفاعي ومنير العمادي وآخرون.

في 9 تموز عام 1925 انطلقت الثورة السورية الكبرى بقيادة سلطان باشا الأطرش وفي تموز عام 1926 تم التوصل إلى معاهدة نصت على الاعتراف باستقلال سوريا لكن الفرنسيين تنصلوا منها وقاموا بنفي سعد اللّه الجابري، فوزي الغزي، الخوري، الحفار، البرازي إلى الحسكة، عام 1927 وفي عهد المندوب السامي بونصو نفي سعد اللّه الجابري ثانية إلى حصرون لمنعه من حضور اجتماع الكتلة الوطنية الذي جرى في بيروت، وفي العام نفسه وبموافقة المندوب السامي تشكلت وزارة برئاسة تاج الدين الحسني والتي كانت مهمتها الدعوة إلى انتخاب جمعية تأسيسية لصياغة دستور البلاد فاز فيها الوطنيون برئاسة هاشم الأتاسي، ووضع دستوراً من 115 مادة إلا أن المفوض السامي بونصو عطل الدستور بتعديلات مجحفة فما كان من الكتلة الوطنية إلا أن رفضت هذه التعديلات فحل بونصو الجمعية التأسيسية ونفى الجابري والأتاسي وعدد من الشخصيات الوطنية إلى أرواد عام 1929.

عام 1932 تمت الدعوة لانتخابات نيابية زورت فيها النتائج فلم ينجح عن حلب الزعيمان الجابري وهنانو إلا أن الكتلة الوطنية فازت بسبعة عشر مقعداً، وفي نفس العام تم وضع ميثاق الكتلة وانتخب هاشم الأتاسي رئيساً لها والجابري نائباً للرئيس.

عام 1936 توجه الجابري إلى باريس عضواً في الوفد السوري المسؤول عن إتمام المعاهدة، وبعد توقيعها شغل الجابري وزارتي الداخلية والخارجية في حكومة جميل مردم بيك أول حكومة وطنية في تاريخ سوريا، عام 1944 وحتى عام 1945 تولى الجابري رئاسة مجلس النواب، فيما كان عام 1943 رئيساً للوزراء والقوتلي رئيساً للجمهورية.

عام 1945 تم جلاء القوات الفرنسية عن سوريا وفي عام 1946 كان الجابري رئيساً للوفد السوري في توقيع بروتوكول الاسكندرية ورئيس وفدها في اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي العام، كما حضر إعلان إنشاء جامعة الدول العربية، عام 1947 وفي زيارته الأخيرة لمصر فاجئه المرض، فعاد إلى دمشق واستقال من رئاسة الوزارة ورجع إلى حلب حيث وافته المنية في العام نفسه، شيعته حلب بموكب حاشد تتقدمه كل الشخصيات السوريَّة وممثلون عن الملوك والرؤساء العرب في حينه.

قال عنه "مصطفى النحاس باشا" : "يقيني أن العظيم في وطنه وخلقه النزيه في تصرفاته وأعماله لا يموت إلا الموت الذي اصطلح عليه الناس، وهو النقلة من دار الغرور والفناء إلى دار الصدق والبقاء، وهو بعد هذا خالدٌ".

ونعاه الملك عبد العزيز آل سعود: "حينما نبكي سعد اللّه فإننا نبكي فيه الشمم ومضاء العزيمة والإقدام، نبكي قائداً أقبل في طليعة الرعيل الأول، يذود عن حمى الوطن الغالي، فكان علم جهاد ولواء نضال ضحى على اسم أمته فأضحى ولقي في سبيل عزتها واستقلالها ما لقي".

ونقلاً عن "شمس الدين العجلاني" من "أوراق برلمانية": "كان المرحوم سعد اللّه الجابري رئيساً لمجلس النواب من 27-10-1944 - ولغاية 16-9-1945 وكان حين قدومه إلى دمشق من حلب أثناء انعقاد دورات مجلس النواب يقيم في فندق الخوام في المرجة وكانت العادة آنذاك أن تعقد جلسات المجلس يومياً الساعة الخامسة بعد الظهر، فكان الجابري يخرج من فندقه بعد ظهر كل يوم الساعة الرابعة باتجاه طريق الصالحية وصولاً إلى مبنى البرلمان سيراً على الأقدام ليترأس جلساته، لم يكن يرافقه في مسيرته اليومية هذه أي حارس أو مرافق حاملاً حقيبته وسائراً على الأقدام في الصالحية ليلقي البسمة والتحية على المارة ويتكلم معهم ويحمل همومهم وآمالهم إلى مجلس النواب، لم يكن يرى من الحرج أن يصافح المارة ويسألهم عن أحوالهم".

في الذكرى الأولى لرحيله أصرّ آل الجابري أن يكون الشاعر عمر أبو ريشة أول المتكلمين في رثائه.. فأجابهم عمر: لي شرط واحد فقط وهو أن أشاهد المنزل الذي كان يقطنه الفقيد؟.. فأجابوه: حبّاً وكرامة.. وتوجه أبو ريشة إلى المنزل وكان في شارع شكري القوتلي وعندما صعد إلى الطابق الثاني شاهد غرفة النوم وبها نافذة واحدة مطلة على الشارع أحد زجاجها مكسور وطبق من الكرتون يغطي نصف النافذة.. وقال أبو ريشة مستغرباً ومتعجباً: هنا كان ينام رئيس وزراء سورية؟.. فأجابوه: نعم.. فهو لم يقبض قرشاً واحداً من الدولة لأنه كان يوقع في نهاية كل شهر على جدول الراتب ويطلب إلى مدير مكتبه أن يوزعه على المستخدمين.. وهنا انتفض عمر أبو ريشة وهزته هذه المأثرة الفريدة ورثاه في قصيدة عصماء نقتطف منها هذه الأبيات:

هيكل الخلد لا عدتك العوادي الأقاحي
أنت إرث الأمجاد للأمجاد.
سعد: يا سعد إنه لنداء
من حنين فهل عرفت المنادي.
أنا يا سعد ما طويت على اللؤم
جناحي ولا جرحت اعتقادي.
شهد اللّه ما انتقدتك إلا
طمعاً أن أراك فوق انتقاد.
وكفى المرء رفعة أن يعادى
في ميادين مجده ويعادي.

و بعد وفاته بعدة أعوام قرر الشعب السوري تكريم زعيمهم الفقيد بإطلاق اسم ساحة سعد اللّه الجابري على أكبر ساحة تتوسط حلب والتي أصبحت من معالمها المهمة.

فارس الخوري شكري القوتلي سعد اللّه الجابري

أحمد المعمار

الشجاعة صبر ساعة

لم أر أحدا من صفوف الثوار ينشق عنهم ويفضح ممارسات العصابات المسلحة بل رأيت الكثير ممن ينشق عن النظام ويفضح ممارساته

هكذا أرى الفجر يشرق في القلوب والظلام ينحسر ويرتفع قليلاً قليلاً

الفلك يكمل دورته وساعة الزمن قد تكون ثقيلة الخطوات ولكنها لن تعود.

صبحي حديدي

... هو الممسوس بعقدة التفوّق على الأب

منذر بدر حلوم

أيها الفقراء في جبالنا وفي السهول، ومن أعرَف منى، أنا الذي منكم وإن أنكرتمونى، بضنك عيشكم ونقاء سرائركم وضيق حالكم وقلة حيلتكم، يا ضحايا نظام ارتكب باسمكم ما لا تقبل ضمائركم به من النهب والسلب والقتل والتنكيل والتعذيب..تطهّروا منه اليوم بكلمة حق، بموقف حق، بخطوة بسيطة تحت سماء الحق، فقد لا تكفي مياه دجلة والفرات والعاصي.. والكبيرين، ولا شمس القبلتين لإثبات نظافتكم من شروره في غد قريب. لا تورثوا أولادكم ما لا طاقة لهم بتحمّله ولا ذنب لهم فيه..لا تجعلوهم يدفعون ضريبة مخاوفكم وحساباتكم الخاطئة، لا تسدوا أفاقهم بعتمات النظام يا أبناء الضوء. أنا ابنكم، أضع روحي بين أيديكم، تفحّصوها جيّداً فستجدون فيها من حبي لكم وتفهمي لحالكم وخوفي عليكم ما يجعلني أرفع هذه الصلاة من أجل وطن لكم فيه من الجمال والخير وسع قلوبكم الطيبة وأيديكم المكافحة. الحرية ضوء..الضوء يناديكم يا أيها الذين تخرجون إليه كل فجر، طاوين بطونكم، مرسلين صلواتكم للخير والسلام." كلمة حق في وجه حاكم ظالم" عبادة فوق كل عبادة، يا أبناء شعبي، يا أغنياء الروح..يا فقراء الحال.. أيها المظلومون!

فادي زيدان

أفقت اليوم متأخراً كما العادة لبست على عجل.. وحاولت جاهداً أن أتجاوز كل الباحثين عن تاكسي ولكنهم كثر سائق واحد كان يسأل الناس عن وجهتهم.. اقترب مني.. قلت له (الميدان) فأومئ لي بالصعود لم أطلب منه أن يسرع كعادتي لأنه كان يسابق الجميع في نهاية كورنيش الميدان ركن سيارته وطلب مني النزول فهي وجهته أكملت ربطت حذائي الرياضي بينما كان يخرج هراوته من صندوق سيارته وذهب كل منا في اتجاه

إياد عماشة

انا شعبي اكبر يا عسكر..

محمود محمود

كل ليلة خميس، نسهر خلسةً، ننام بهدوء ومن دون أي ضجيج خوفا من إيقاظ شهداء الغد.

وائل ماك

ما زلت أتذكر بحسرة، أفلام السكس التي وعدانا بها يوما الشعيبي و قناة الدنيا، والتي لم نحصل عليها قط، نحن جمهوره الممحون...

مخيائيل سعد

متى يعقل الإنسان، أنا نموذجاً بين العشرين والثلاثين عملت بالسياسة وكنت أظن أنني سأغزو سوريا، فوصلت إلى سجن المزة. بين العشرين والثلاثين حلمت بامرأة تفاتحني بحبها فسخرن مني جميعهن.. بين الثلاثين والثالثة والثلاثين عملت صحفياً وحلمت أن أكون رئيس تحرير واستفقت من الحلم على صوت ضجيج أحذية الجنود الصهاينة أمام مبنى المجلة فـ..ي بيروت، فهربت عائداً إلى سوريا الأسد.. بين الثالثة والثلاثين والأربعين عملت ناشراً وبائع كتب وحلمت بدار نشر ومكتبات فنمت في فرع فلسطين سبعة أشهر.. بين الأربعين والخمسين وجدت نفسي على أطراف الكون في كندا، حلمت بتغريب كنداً ووحدة الجالية العربية واستيقظت على جوع أطفالي وصراخ زوجتي فلا كندا تعربت ولا الجالية توحدت.. بين الخمسين والخامسة والخمسين عدت للتعلم والعمل، وفجأة كان عندي دكان لا أستطيع تأمين أجرته.. بين الخامسة والخمسين والواحدة والستين أصبحت قادرا على ملئ البراد بالأكل والتنبلة.. في الواحدة والستين من العمر وحتى الآن قامت القيامة وبدأت الثورة السورية وعدت للحب والكتابة والصراخ والرغبة في تغيير العالم.. فمتى يعقل الإنسان..؟؟؟؟

حسان عباس

وصلت باكراً صباح اليوم رسالة نصيّة قصيرة غريبة جدا إلى كثير من الهواتف المحمولة المشتركة بسيرياتل يقول نصها بالحرف الواحد (أفلست عصابة بشار وأصبحت تفجيراتها مكشوفة. خاين يلي بيقتل شعبوا). الأغرب من ذلك أن الشريط الإخباريّ في تلفزيون الدنيا احتوى اليوم العبارة التالية: (الإدمان على استخدام الهواتف الذكية يتسبب في رؤية رسائل نصية وهمية).

رفيق الحلو

يأتي موتك مزعجا بعض الشيء، فينغص حزني، حزن يدوم منذ عشرة أشهر. و المشكلة أنني لا أجد لك مكانا في عزائي، فأنت فرنسي. أتيتنا من مدينة تعج بالبحيرات الجميلة ولا علاقة لك بهذا المكان. كادت أنانيتي أن تنال مني فأقول: لا بأس أن يشعروا هم أيضا بشيء مما نعيشه نحن، اقصد مما نموته نحن. هذا ما أحسست به لحظات قبل انفجاري بالبكاء... وأنا استرجع في مخيلتي شريط الصور التي التقطها من أجلي، من اجل الحقيقة. ثم ابتعدت كل الصور ما عدا واحدة: طفلتاك. رأيتهما كما في حلم، تزدادان سمرة، لتظهرا من جديد بزي حوراني، بين آلاف الأطفال السوريين.. اليتامى. لم أجد لك مكانا في خيمة عزائي، لكن لطفلتيك مكانا عندنا، أنت اخترته لهن. لم تقتلك رصاصة إسرائيلية استقرت في كتفك، ولم ينال منك قصف الصرب لجبال عبرتها سرا، لتكون على موعدك مع الحقيقة. فكنت أول من دخل كوسوفو من الصحفيين الأجانب وأخر من بقي في نابلس ليشهد للعالم عن جريمة الإسرائيليين. أرهقتك مشاهد الموت في أحراش بليدة في الجزائر وفي أدغال الكونغو، أما عن موتك أنت فكنت تجيب هازئا وبالعربية: عندي"البركة" طالما أرعبتهم شجاعتك، وأقضت مهاجعهم كلماتك و كاميراتك "الفتاكة". أعداء الحقيقة هم نفس المجرمين في كل مكان وعلى كل أرض، و اليوم فاق الحقد البركة فقتلوك، وهم سيرقصون، من نابلس وكابول الى كوسوفو ثم حمص، سيرقصون. جبل جاكيه، أنت يا شهيد الحقيقة. قد لا أجد لك مكانة في خيمة عزائي ولكني سأضعك بجانب ميشيل سورا.. هناك.. في قلبي

فادي ديوب

بنظري أن الثورة هي كاشف معادن.. و من فترة اكتشفت أنها أيضا مرآة.. كلّ يرى فيها حقيقة ما هو عليه!

فادي داهوك

بيان شخصي جداً.. الأصدقاء في قناتي الجزيرة والعربية تحية طيبة.. في السويداء ثورة.. في السويداء قمع.. في السويداء حرقوا الكتب.. في السويداء سيارات تكسّرت.. في السويداء نقابة للمحامين اقتُحمت.. في السويداء أملاك خاصة لمواطنين دمّرت.. في السويداء بلغ عدد المعتقلين 136 موثقون بالاسم.. في السويداء شعبٌ يحس أن أحداً يريد أن يقول لهم أن الثورة لا تخصكم.. في السويداء عسكرٌ منشقون.. في السويداء هاجرَ بعضُ الثوار إلى درعا ودمشق وحمص.. في السويداء ثورةٌ.. صمتكم عنها يقتلها

إكذبْ
إكذبْ
إكذب .. إكذبْ
ثمّ اكذب واكذب واكذبْ
واكذبْ
... واتبعْ بالكذبة كذبهْ
وَضعِ الكذبة فوق الكذبهْ
تحتَ الكذبهْ
جنب الكذبةِ
تلوَ الكذبهْ
في هذي الأيّام الصعبهْ
* * *
واكذبْ يا كذّاباً مرّه
تكذبُ يا كذّاباً أخرى
حتى تغدو الكذبةُ
يا كذّاباً عاهرةً كبرى
خرجت من رحمِ اللغةِ القحبهْ
* * *
شيخَ الكذّابينَ اخترعِ الكذبهْ
ملّحها
فَلفلها
بهّرها
رُشّ عليها من روح الكذّابِ الأكبرِ
بركاتِ الكذبِ المتواترِ كذباً
من أوّلَ كذبهْ
حتّى آخرَ كذبهْ
صدّقها
حتّى تُمسي تلك الكذبةُ لُعبهْ
واللعبةُ كذبهْ
* * *
إكذبْ
إكذبْ
إكذبْ .. إكذبْ
ثمّ إكذب واكذب واكذبْ
واكذبْ
صدّق حالكْ
كي تتماسكْ
لكن
صدّقني .. بالآخرْ
أنت الخاسرْ
أنت الخاسرْ

إياد حياتلة

| كيف تنظر إلى أداء الشرائح الجديدة التي تمخضت عن الحراك السوري اليوم. أعني بالتحديد شريحتي الشباب والمرأة؟

| | المرأة والثورة! وهل تكون الثورة ممكنة من حيث المبدأ دون المرأة، دون مورثة الرفض التي تزودنا بها المرأة عبر سيتوبلازم البويضة قبل أن تأتي نطفة الذكورة المتبخترة إليها؟! جوابي: لا. فحياتنا تتعين بيولوجيا منذ لحظة ارتسامها الأولى في أرحام النساء، أرحام نساء الثورة، بثورة في الرحم. تتعين بالتضاد مع عوامل الموت.. ثم تتعين بصدمة الهواء، صدمة الأكسجين المغشوش. فما أكثر مسببات الموت في الهواء لوليد يريد أن يتنفس. نحن جميعاً نريد أن نتنفس فينتظرنا الموت في شوارع مدننا وساحاتها.. ونخرج مع ذلك، تدفعنا المرأة إلى ذلك. لا تترك المرأة مورثة الرفض تذوي بل تستنهض فينا مناعة نفسية ضد عوامل الموت المعنوي. هنا ترتسم حدود الكرامة. وفوق ذلك كله، تخرج الصبايا إلى الشوارع وتخرج الأمهات ويهتفن بالحرية ويسقطن صرعى برصاص الطاغوت. ليس أكثر إيلاماً ودفعاً إلى الثورة من منظر امرأة قتيلة كانت خرجت لتهتف بالحرية أو لتأتي بالخبز لأولادها الثائرين. كثيرات هن في بلدي، الدبيب. وثمة نساء في الطرف الآخر يلعنّ أولاء، يا للعار! ليست العلّة، إذاً، في الأرحام. أمّا الشباب، فالشاب الذي لا يثور عليه أن يتفحص جيداً رجولته وذكورته.

| مع العقوبات العربية اليوم وتزايد الضغوط الدولية والإقليمية على النظام، تحول جزء كبير من الصراع من صراع لأجل إسقاط النظام أو الانتقال السلمي التدريجي إلى دولة مدنية كما تسمى في كثير من أدبيات المعارضة اليوم، إلى صراع على حماية سوريا. ولأن هذا ما أراده النظام منذ البداية لشد عصب مؤيديه، ثمة إحساس اليوم أن دور المعارضة السورية أصبح هامشياً وأن القوى السياسية (المدنية واليسارية والشبابية..الخ) قد أجبرتْ على إخلاء الساحة للانتحاريين من الطرفين. إن كان هذا ما هو حاصل فعلا فمتى تعود هذه القوى لتمارس دورها الصحي؟

| | هناك فرق بين القوى المعارضة والقوى الثورية. القوى الثورية ولدت من رحم الثورة، وأما القوى المعارضة (التقليدية) فطالما تعيّن أداؤها وأساليب تفكيرها وعملها بالتضاد مع النظام، حتى باتت مقلوب النظام. هذه القوى، مع التقدير للثمن الذي دفعته بعض شخصياتها، أعادت إنتاج النظام في توهمها أنها كانت تشتغل ضده. فالمقلوب يعيد إنتاج النظام نفسه حتى في تضاده معه. المسألة لا علاقة لها هنا بالوطنية..إنما بالعقل المنتج للسياسة. وبالتالي فهذه القوى ستسقط تلقائيا مع سقوط النظام ما لم تغير في العقل السائد لديها، ومن الواضح لي عجزها عن ذلك إلى اليوم. لا يحتمل الواقع اليوم وجودا شكلياً لأحد، حتى وإن نُفخ في الشكل وتم تحويله إلى فقاعة كبيرة. كثيراً ما يفعل الإعلام ذلك، لغاية في نفوس حاكمي الإعلام. وأما القوى الشبابية فأفضل ما يمكن أن تفعله هو التحرر من وصاية شيوخ السياسة الخارجين من معتقلات النظام ومن (مدرسته النضالية) وأن يبدعوا أشكالا لتنظيماتهم وآليات عمل خاصة بهم.

| وسوريا اليوم إلى أين؟

| | سوريا الآن، ساحة للصراع ليس فقط بين الثورة والنظام، بل هي ميدان لصراع القوى الكبرى المهيمنة على العالم والتي في طريقها إلى ذلك.. والأهم من هذا وذاك، أن سوريا تشهد اليوم صراعا داخليا على كل تفصيل من تفاصيل حياتها القادمة. الاقتتال الذي يدور اليوم في بعض جغرافيا الأرض السورية ليس اقتتالاً طائفياً أو مذهبياً، كما يخطر بالبال للوهلة الأولى، وليس اقتتالا مصلحيا على إخلاء الكراسي أو احتلالها..هو اقتتال ثقافي في الجوهر، اقتتال بين طريقتي عيش، اقتتال على سؤال عالق في الأفق. هذا الاقتتال إذا استمر، وأرجو أن لا يستمر، سيكون عابرا للطوائف. لن تشتعل حرب طائفية في سوريا، ولكن قد تشتعل حرب ثقافية بين نمطي حياة وطريقتي تفكير. وبالمعنى السياسي فإن النظام يقود البلاد إلى الهلاك، يساعده في ذلك خارج لا يريد للثورة السورية أن تنتصر ما لم تحصد ثمارها قوى بعينها، هي القوى التي نراها تعتلي الكراسي في ليبيا ومصر. وبانتظار ذلك، وبانتظار تهيئة الأرضية لتلك القوى المدعومة بالإعلام والمال، يدفع السوريون حيوات خيرة شبابهم، فهل هناك أروع وأكثر سموّا من الذين يندفعون إلى الموت صارخين (حرية)، وهل هناك أسوأ وأكثر خسة من الذين يتاجرون بأرواحهم!

السؤال والجواب: مع الكاتب المعارض منذر بدر حلوم | عن جريدة السفير اللبنانية - حوار محمد الحموي

حزب الكتلة الوطنية 1927 - 1947

■ حنين اليوسف

أعضاء الكتلة الوطنية في العشرينات بتوسطهم الرئيس هاشم الأتاسي.

نشأت الكتلة الوطنية باندماج حزب الشعب والحزب الوطني واللجنة العليا الوطنية عام 1927 على بقايا حزب الشعب المنحل، وكان هاشم الأتاسي رئيساً له وفارس الخوري وإبراهيم هنانو نائبين للرئيس وجميل مردم بك سكرتيراً وشكري القوتلي أميناً للصندوق، وبلغ عدد أعضائه 38 عضواً منهم سعد اللّه الجابري وعفيف الصلح وعبد الرحمن الشهبندر في مصر وإحسان الجابري وشكيب أرسلان في جنيف وعبد الحميد كرامي في لبنان، وغيرهم من رجالات سوريا وقادتها الوطنيين.

لعبت هذه الكتلة الدور الرئيسي في الحياة السياسية في سوريا منذ عام 1928 إلى عام 1945 وخصوصاً في منتصف الثلاثينيات عند توصلها إلى معاهدة 1936 مع الاحتلال الفرنسي. ومما عُرف عن الكتلة بأنها شكلت واجهات حزبية مثل الشباب الوطني والقمصان الحديدية.

عقدت الكتلة الوطنية أول مؤتمراتها في بيروت في تشرين الأول عام 1927 برئاسة هاشم الأتاسي وإبراهيم هنانو والدكتور عبد الرحمن كيالي، وعبد الحميد كرامة، وعبد اللّه اليافي، والأمير سعيد الجزائري، وقد خرج المؤتمر ببيان ردّ فيه على المفوض السامي ودعا إلى تحديد نقاط الخلاف وأخذ على السلطة إبقائها القيود على الحريات، وتفتيت سورية إلى عدة دويلات، واتهم المؤتمر سلطات الانتداب بإهمال مصالح البلاد الاقتصادية.

لم يكن لحزب الكتلة الوطنية برنامج مكتوب بل كان يعتمد برنامجه على ما يصدر عنه من بيانات في مختلف المناسبات والأزمات السياسية، ومن الممكن اعتبار الدستور الذي أقره المجلس التأسيسي الذي وضعته الكتلة والذي أشرف عليه فوزي الغزي (1891-1929) في 7 شباط عام 1928هو أهم مبادئ الكتلة الوطنية، فقد نص الدستور على "وحدة البلاد السورية المنفصلة عن الدولة العثمانية، وعدم الاعتراف بما طرأ عليها من تجزئة منذ نهاية الحرب الأولى عام 1918، وقرر الدستور (الجمهورية) كنظام حكم، ونص على حرية الأديان وعلى أن تكون اللغة العربية هي اللغة الرسمية، وأفرد الدستور باباً خاصاً يتألف من اثنتين وعشرين مادة لتعيين حقوق الشعب".

وفي عام 1930 اجتمعت معظم القوى الوطنية (التي اختلفت عن الحزب في تفاصيل سياسته ولم تختلف في الهدف العام الأساسي المبني على استقلال سورية وحريتها) في حزب الكتلة الوطنية الذي أخذ على عاتقه مسألة تخليص سوريا من الاحتلال الفرنسي وإقامة دولة سورية ذات سيادة مستقلة.

أصدرت الكتلة الوطنية جريدة (الأيام) في دمشق في 10 أيار 1931 لتكون ناطقة بلسانها، وكتب في عددها الأول جانب عنوانها أسماء ستة من أعضاء الكتلة الوطنية وكتب فوق أسمائهم "أصحاب الامتياز" وهم هاشم الأتاسي (1875-1960) وإبراهيم هنانو (1869-1935) وسعد اللّه الجابري (1891-1948) وفخري البارودي (1889-1966) ولطفي الحفار (1891-1968) وعارف النكدي (1887-1975) الذي أوكلت له الكتلة سياسة الجريدة التي صدرت يومية في ثماني صفحات كبيرة، وكان الصحفي نجيب الأرمنازي مديراً للجريدة المعارضة. عطلت الجريدة بعد شهرين فقررت الكتلة الوطنية بيع امتياز الجريدة إلى الصحفي نصوح بابيل. لقد استقطبت الجريدة عدداً كبيراً من المحررين مثل بشير العوف ووجيه الحفار ورشيد الملوحي وأحمد قدامة ومنير الريس وكامل البني ومطيع النونو وإيليا شاغوري وسامي الشمعة وغيرهم.

وكان لحزب الكتلة دور هام في اندلاع العصيان الخمسيني عام 1936 وذلك بعد إغلاق مكتب الكتلة الوطنية حيث وصل إليه في حي القنوات بدمشق في الساعة العاشرة من صباح يوم السبت 19 كانون الثاني 1936 نحو ثلاثون شرطياً يرأسهم مسيو كران مفتش الشرطة الفرنسي، الذي وزع رجال الشرطة في المنعطفات والطرق المؤدية إلى المكتب وأسطحة المنازل المحيطة. ثم دخل كران يرافقه عشرة من رجال شرطة التحري إلى المكتب وأبلغ الرئيس هاشم الأتاسي أن لديه أمراً بتحري المكتب وضبط ما فيه من أوراق، واستجواب بعض الأشخاص وختم غرف المكتب بالشمع الأحمر. وتم اعتقال قادة الكتلة الوطنية في حماة في 6 شباط، وفي صباح 11 شباط تم اعتقال جميل مردم بك ونسيب البكري. وقامت السلطات الفرنسية بحملة اعتقالات كبرى بين المواطنين، في محاولة لقمع الإضرابات والمظاهرات بكل ما استطاعت من عنف، قبل أن تكتشف استحالة مواجهة إرادة شعب بكامله، فعادت وأطلقت سراحهم بعد نجاح الإضراب في الوصول إلى أهدافه.

بعد الصدامات الدامية بين المتظاهرين وقوات الانتداب الفرنسي طلب المستعمر إجراء المفاوضات مع زعماء سوريا آنذاك، فتشكل وفد من الكتلة الوطنية وجرت المفاوضات يوم 28 شباط في بيروت، وفي نهاية المفاوضات أعلن الأتاسي في 2 آذار 1936 بياناً كان من نتائجه أن غادر وفد سوري إلى باريس في 21 آذار 1936 ليفاوض من أجل معاهدة جديدة ونتيجة لذلك وقع معاهدة 9 أيلول 1936.

لقد استطاعت الكتلة الوطنية تحقيق الكثير من المكاسب من خلال هذه المعاهدة ومنها انتقال سلطات الدفاع والأمن والدرك والجمارك والخارجية إلى القيادة السورية وتأسيس جيش وطني سوري، وبعد ذلك بأسابيع جرت انتخابات حققت فيها الكتلة الوطنية فوزاً كبيراً ونالت من التأييد الشعبي ما نسبته 90٪ ، وعلى إثر ذلك قدّمت حكومة عطا الأيوبي المستقل استقالتها، ليجتمع مجلس النواب الجديد وينتخب فارس الخوري رئيساً له وهاشم الأتاسي رئيساً للجمهورية، والذي كلف بدوره جميل مردم بك بتشكيل الحكومة في كانون الأول 1936، ليُصادق المجلس فيما بعد على مُعاهدة باريس التي اعتبرت نصراً كبيراً بحينها.

في عام 1939 اشتعلت الحرب العالمية الثانية ودخلت قوات الحلفاء في حرب طاحنة مع قوات المحور، وشهدت سورية صراعاً بين القوات الفرنسية التي كانت تابعة لحكومة فيشي (الموالية للألمان) وقوات حكومة الجنرال ديغول (المتحالفة مع الحلفاء) حيث تمكنت القوات المتحالفة من إخراج قوات فيشي من سورية في تموز 1941، وعلى إثر ذلك أذاع الجنرال كاترو (باسم ديغول) بيانه الشهير الذي وعد فيه سورية ولبنان بالاستقلال وحق تقرير المصير. وبناء عليه تم إجراء انتخابات نيابية عام 1942 فازت فيها الكتلة الوطنية، وفي شهر آب 1943 انتُخب شكري القوتلي رئيساً للجمهورية السورية، وتألفت حكومة جديدة برئاسة سعد اللّه الجابري.

ومع بداية الأربعينيات انشق عن حزب الكتلة الوطنية مجموعة من قيادييها من حلب وشكلوا كتلة برلمانية انبثق عنها عام 1948 "حزب الشعب" الذي تأسس في بيروت ودعى في برنامجه إلى الوحدة العربية وبدايتها الوحدة مع العراق لمجابهة التهديد الخارجي، وكان مؤسسا الحزب هما رشدي الكيخيا وناظم القدسي، أما باقي أعضاء الحزب فشكلوا عام 1947 ما عرف بـ "الحزب الوطني" برئاسة نبيه العظمة، وانتسب إليه معظم سياسيي دمشق وتسلم الحكم بعد الاستقلال.

كان هدف حزب الكتلة الوطنية يتمثل بـ (الحرية التامة) لأن "حرية الإنسان السوري هي حرية مقدسة غير منقوصة ولا مشروطة في كافة المجالات وحتى لو كانت تلك الحرية لا تتفق مع الحزب في أطروحاته وأفكاره فسيعمل هذا الحزب على صونها وتقويتها لأنها هي أساس كل إبداع". أما هدف الحزب الثاني فهو (العدالة) لأنه بالعدل سيشعر كل مواطن بأن كرامته وحقوقه مصونة. أما الهدف الثالث فهو (المساواة) بين كافة الأعراق المكونة للشعب السوري وكافة الديانات وكافة الطبقات الاجتماعية.

قام حزب الكتلة الوطنية على خمسة مبادئ أساسية وهي "الوطنية للوطن، والشخصية السورية المتميزة، وكل ما هو غير سوري فهو عنصر غريب، والسوري يسعى لخدمة السوريين ورخائهم بغض النظر عن اتجاههم السياسي أو الفكري، وللسوريين مطلق الحرية بممارسة كل رغباتهم وتطلعاتهم شرط أن لا ينتج عن ذلك أي ضرر يلحق بأي سوري".

الأسد والصراع على الشرق الأوسط

■ ياسر مرزوق

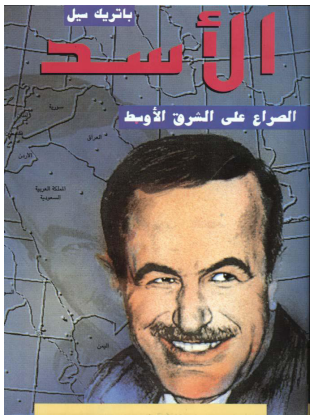

قد يتساءل القارئ لماذا نطرح اليوم كتاب "الأسد والصراع على الشرق الأوسط" الذي أتمه البريطاني باتريك سيل عام 1988 ونشر عام 1989، والمقروء من شريحة واسعة من القراء السوريين رغم خطره، في الوقت الذي ثابرنا فيه على نشر صفحات مضيئة من التاريخ السوري الحديث ما قبل عام 1963 بالتزامن مع يوميات الثورة السورية أو استعراض كتب لم يكن للقارئ العادي أن تتسنى له فرصة الحصول عليها، لكنني كنت أرى بأنه لا بد من استعراض هذا الكتاب كمبرر واضح لما حصل في سوريا خلال خمسين عاما عادت فيها البلاد إلى الوراء في كافة القطاعات "حسب إحصائيات المنظمات الدولية" بشكل درامي لم يسجل التاريخ له مثيلا.

الكتاب جدلي بامتياز تختلف قراءته باختلاف موقع القارئ من النظام السوري، مع أن كاتبه قد ادعى الحياد، لكنه بقي محاولة لتصوير العالم حسبما يُرَى من موقع الحكم في دمشق.

إنه ليس سيرة ذاتية عن حافظ الأسد، بالرغم من أن هذا الكتاب ما كان لينجز لو لم يوافق الأسد على التحدث للكاتب وتمويل الكتاب حسب بعض الروايات، والسماح لسيل بالتوغل بأريحية في تفاصيل لم تكن سانحة له لولا الموافقة من حافظ الأسد نفسه. والمفارقة كانت بمنع الكتاب من النشر في الأسواق السورية بحجة تركيزه على الخلفية الطائفية للأسد وصراعه مع الإخوان المسلمين بحسب رواية النظام.

وبالرغم من بعض التحفظات إلا أن الكتاب مرجع لابدّ من قراءته لكل مهتم بتاريخ سوريا الحديث، وهو يعتبر تكملة لكتاب سيل الأول سوريا والصراع على الشرق الأوسط الذي يؤرخ لتاريخ سوريا من الحكم العربي للملك فيصل وحتى الوحدة مع مصر.

النزول من الجبل:

يبدأ الكتاب في فصله الأول كحكاية تقليدية أو شعبية فيقدم هذا الفصل تحليلا اجتماعياً ثريا لواقع الطائفة العلوية في الجبال وعلاقتها مع أبناء المدن، والبيئة العائلية التي نشأ فيها الأسد، كما يتحدث عن سليمان الأسد (الوحش حتى عام 1927) جد حافظ الأسد والذي خلق زعامة نجله بقوته العضلية، ولم تعطه إياها الأسر أو العلم أو النسب، كاستثناء عن الواقع الاجتماعي في ذلك الحين، وعن والده علي الأسد، ونزول الأسد نفسه ليحصل على التعليم في اللاذقية وموقعه بين 9 إخوة وأخوات، وكل تلك التفاصيل تمر مع القارئ بأسلوب أدبي مقصود ربما من سيل نفسه لجذبك نحو الشخصيات والمحاكاة غير المباشرة لبعض التفاصيل التي قد تفلت من يد الكاتب فيما لو كان يكتبها بصيغة توثيقية محضة.

الإرث الفرنسي:

يتناول سيل هنا نشأة الأسد في دويلة علوية في فترة تقسيم سوريا إلى دويلات: "لقد بدأ حياته، (وبحسب الكاتب)، في موضوع خلفي منعزل انفصالي، خاضع للغرب، وطائفي على وجه التحديد ينأى بنفسه عن الوطن العربي عموما" ليتناول فيما بعد علاقة الطائفة العلوية مع الفرنسيين (وحسب الكاتب دوماً) والذين كانت فرنسا تكافئها بتجنيدهم في قوات المشرت الخاصة وهي القوة المحلية التي أنشئت في عام 1921 تحت إمرة ضباط فرنسيين.

"كان العلويون يشعرون شعوراً حاداً بالظلم منذ عدة قرون، ولعل هذا يشرح السبب الذي جعل هذه الطائفة المقهورة تنقض انقضاضاً عنيفاً وبقوة جامحة ومحمومة على اقتناص فرص الحصول على التعليم والثروة والسلطة، إلى أن دار دولاب الحظ".

مدرسة الحزب وكلية الجيش:

"كان السخط على الحياة أول عاطفة سياسية تجيش في صدر الأسد ففي مسقط رأسه في القرداحة لم يكن يشعر بالحرمان، أما في المدينة فكانت هناك أشياء كثيرة تذكره يومياً بانعدام المساواة".

يبحر سيل في هذا الفصل في بدايات الأسد الفكرية وتوجهه القومي السوري بدايةً ثم انتسابه إلى حزب البعث وهو في السادسة عشر من العمر ووقوف الأسد إلى جانب الأرسوزي "العلوي المذهب" في النزاعات الحزبية اللاحقة، كما يذكر علاقته بوهيب غانم الشخصية العلوية الوطنية الفذة متناولا أثرها الإيجابي على كل طلاب الطائفة بما فيهم الأسد نفسه.

الخلافات السياسية بين الطلاب:

"عام 1948 هاجم الإخوان المسلمون الأسد وطعنوه في سكين في ظهره... واستغرق التئام الجرح مدة أسابيع"، فيشرح سيل طبيعة الحياة السياسية بين الطلبة في تلك الحقبة وعلاقة الأسد مع زملاءه والإخوان منهم أيضاً ثم يصل إلى التحاقه بالكلية العسكرية كطيار، لينتقل إلى شرح شكل الجيش في تلك الفترة: "كانت الغلطة التاريخية لطبقة التجار والملاك التي تركت الجيش، حتى استولى عليه أعداؤها الطبقيون الذي انتهى بهم الأمر بالاستيلاء على الدولة كلها".

ثورة الفلاحين:

يؤرخ هذا الفصل للفترة الأكثر حسماً في تاريخ سوريا الحديث (المدرسة- الحزب- سلاح الجو- البعث- أكرم الحوراني) ويسهب في الحديث عن شخصية أكرم الحوراني السياسي السوري الذي ادّعى أنه حمل مشكلة الفلاحين في البرلمان إلى الواجهة الأمامية من قضايا الساعة السياسية، وقد كانت أساليبه العنيفة الخشنة حيال الملاك قد هزت النظام الاجتماعي في عمق سوريا.

مشكلة الأرض:

يعود سيل هنا للتحدث عن خلفية الأسد والعلاقات الاجتماعية الملتبسة بين الريف وأبناء المدن والزعامات التقليدية التي كانت تشكل الطابع العام للبلاد.

حكم العسكر:

عرفت سوريا في الفترات الأخيرة قبل حكم البعث عدداً من الانقلابات العسكرية فقد كانت انقلابات الزعيم، الحناوي، الشيشكلي، ويتحدث الكاتب هنا عن دور الحوراني فيها وظهور الأسد تدريجياً وتحولهم إلى كيان الضباط كمساهم في حكم سوريا.

تنظيم القاهرة:

ينطلق الكاتب من اغتيال عدنان المالكي، وتحول حزب البعث لأكبر قوة في القوات المسلحة، فيما خدم بالتالي مستقبل الأسد وبعثيين آخرين، ثم يتناول رحيل الأسد إلى القاهرة وتأثره بالمد القومي ثم الوحدة مع مصر عام 1958 وزواج الأسد في العام نفسه من أنيسة مخلوف ذات الخلفية القومية السورية.

وينتقل هنا بالحديث عن اللجنة العسكرية، فعندما وصل الأسد إلى القاهرة عام 1959 كان الجو مليئاً بتوقعات انهيار الوحدة وفي عام 1960 شكل حينها الأسد مع عدد من الضباط السوريين ما سمي باللجنة العسكرية وهي المشروع الذي نشهد له فيما بعد أنه غير مجرى التاريخ.

"المقدم محمد عمران، النقيب صلاح جديد والرائد حافظ الأسد الذين شكلوا ثلاثياً غير عادي، وعندما اختلفوا فإنّ صراعهم الطاحن المتبادل ظلّ لعدة سنوات مادة السياسة السورية كلها تقريبا. وعضوين اسماعيليين عما عبد الكريم الجندي وأحمد الميرّ، قام الأسد بتصفيتهم تدريجياً"، كان هدف اللجنة العسكرية الواضح هو الاستيلاء على سوريا.

ومن ثم الانفصال وسقوط الزعامات التقليدية وانتهازية الضباط الواضحة

انقلاب عام 1963 وصيغته الفريدة بين الانقلابات السورية إذ لم تكن لهذا الانقلاب قاعدة شعبية أو ثورية لطلقوا منها فركزوا خطتهم على نطاق الحدود الضيقة لنادي الضباط والثكنات المتمردة لإنجاح هذا الانقلاب بفضل الضعف الشديد للحكومة و استغلال اللجنة العسكرية على تدعيم سلطتها داخل صفوف الجيش والدولة.

الفوز بالحزب:

صعد الأسد لعضوية القيادة القطرية والتي لم يستطع عفلق ولا البيطار في الدخول إليها، وتمّ اختطاف بعث عفلق من قبل اللجنة العسكرية ليفوز حافظ الأسد نفسه بالحزب، ويتناول الفصل أيضاً إضرابات حماة 1964 وحملة القتل الوحشية التي شنتها الدولة.

ثم يسرد الكاتب بكثير من الإثارة سقوط أعضاء اللجنة الواحد تلو الآخر ابتداءً بعمران ليبقى الأسد متفرداً فيما بعد مروراً بانقلاب عام 1966.

التخبط نحو الهاوية:

تبوأ الأسد لمنصب وزير الدفاع وصلاح جديد منصب رئيس الدولة الفعلي في حين كانت الدولة برمتها كيانا شكليا، ويذكر سيل هنا آلية سلوك النظام المتشدد، كما يتحدث عن انقلاب الحاطوم الذي انتهى بإعدامه على يد الجندي، خاتما هذا الفصل بعنوان عشية الحرب 1967.

الانتصار السهل في حزيران:

والانتصار السهل هنا هو كان للإسرائيليين بالتأكيد وليس للعرب، فيعرض الكاتب لحرب 1967 مبتدأ بكوادر الحرب 1966 محللا للدور المصري والدور الفلسطيني مناقشا دوافع عبد الناصر للحرب والتي كان يحتاجها إعلامياً خاصة بعد أزمة الانفصال.

كما يتحدث سيل عن الهجوم على سوريا وسقوط الأسد كقائد عسكري محللا بشيء من الحياد دور الأسد في سقوط الجبهة السورية.

العراك من أجل القمة:

تجلى العراك الحقيقي نحو القمة بين "الأسد" المسيطر على الجيش بعد هزيمة 1967 و"جديد" المتغول على السلطة، فيدخل هذا الفصل في تفاصيل العلاقة بين الحرب والسلطة، مروراً بإسقاط الجندي، والذي قتل نفسه بإطلاق الرصاص على رأسه خشية من المحاكمة وأن يلقى مصير حاطوم الذي عذبه شخصياً.

"من الأعضاء الخمس المؤسسين للجنة العسكرية، كان عمران مقيما في لبنان، وكان المير قد طرد إلى مدريد، والجندي قد مات، أما الاثنان الباقيان الأسد وجديد، كان مشتبكين في عراك يستميت فيه كل منهما من أجل الوصول وحده إلى قمة السلطة"

الإخفاق في أيلول الأسود:

مع أحداث 1969 في أيلول الأسود في الأردن وهروب الأسد المخزي أمام الطائرات الإسرائيلية، كانت العلاقة مع إسرائيل والفدائيين الفلسطينيين في سوريا الفيصل في صراع (جديد/ الأسد)، حسم هذا الصراع لمصلحة الأسد حيث تفرّد حتى قبل انقلاب 1970 بالدولة وجلس جديد حتى نهاية حياته في السجن، وهنا يذكر سيل: "كان الأخضر الابراهيمي في زيارة إلى سوريا وكان يتناول العشاء عند رئيس الدولة المفترض د. نور الدين الأتاسي الذي قال له وفي صوته رنة أسى: لا تناقش معي أيّ قضايا جدية إن الأسد هو المسؤول اذهب واجتمع معه".

دولة الأسد:

يدخل سيل هنا في موضوع جهود الأسد لإعادة التحالف مع البرجوازية أو ما بقي منها محاولا ردء الصدوع في جسم الحزب، حتى التحالف الضمني مع الإسلاميين، وفتوى موسى الصدر الشهيرة التي رسخت الأسد كحاكم أبدي لسوريا. كما يتحدث الكاتب عن فريق عمل الأسد والسياسات المهادنة التي بدأ معها حكمه تمهيدا للسيطرة على سوريا.

أما تحت عنوان بين السادات الحليف غير الموثوق، وهم تشرين، المبارزة مع كسينجر، 1975 عام الخراب. الفخ اللبناني، يبتعد باتريك سيل عن نهج الحياد ويعالج علاقات الأسد والسادات وحرب تشرين المزعومة واتفاقية الهدنة والمناورات السياسية مع هنري كسنجر والتي انتهت بعزلة سوريا، ثم علاقة الأسد مع كل من منظمة التحرير، المورانة، جنبلاط، المقاومة اللبنانية، الاتحاد السوفييتي، أمريكا، من وجهة نظر أن الأسد هو القوي الصلب والذي تعرض للخيانة من قبل شركاءه العرب والغربيين، لكن الوثائق والوقائع التاريخية التي سردها باتريك سيل أجبرته إلى العودة إلى الحياد.

ثم ينتقل إلى فصل يتحدث فيه عن العدو الداخلي، وحيداً يقف، الوقوف مع آية اللّه، المعركة مع بيروت، حراك الإخوان المسلمين، على خلفية الفساد المالي والاقتصادي الذي لم تشهد له سوريا مثيلا، وسلوك رفعت الأسد وميليشياته (سرايا الدفاع) مع المواطنين، فينتقل الكاتب تحت عنوان المعارضة الإسلامية، اندلاع الإرهاب، العقاب المتعطش للدم. خاتما الفصل بعنوان العقد المخيب للآمال.

يقول سيل: "إن الخشونة المروعة التي اكتسبتها شخصية الأسد في الثمانينيات كان سببها هنري كسنجر بالشرق الأوسط لمصلحة إسرائيل هو الذي حطم آمال الأسد في إنكانية تحقيق تسوية مشرفة وأبرز فيه بعض ملامح شخصية صلاح الدين"؟!

ثم يتناول دعم الثورة الإيرانية والخروج عن الصف العربي والعلاقات مع العراق. وصولا إلى اجتياح لبنان، اغتيال الجميل، وعلاقات الأسد المشبوهة مع التيار المتشدد اللبناني ضد القضية الفلسطينية.

حرب الأخوين:

يعود سيل في هذا الفصل إلى أسلوبه في سرد توثيقي بصيغة أدبية لصراع الأسد وشقيقه الأصغر رفعت والتي بدأ بتطويق رفعت ثم مواجهته والتي كادت أن تكون حربا في شوارع دمشق، والصراع الذي انتهى لمصلحة الأخ الأكبر بمصالحة عائلية قادتها الأم بطريقة تظهر الوضع الذي آلت إليه سوريا زمن البعث.

تكوين أمة:

نرى في هذا الفصل تحليلاً للإنجاز الاقتصادي الذي سعى إليه الأسد مستغلاً التمويل الكبير الذي حصل عليه من دول الخليج، نمو دمشق، تحديث الريف، الضيع، تحسن أحوال العلويين... والتحول الديمغرافي والاجتماعي الشرس في سوريا.

وتحت عنوان النكسات الاقتصادية يحلل صوراً بالأسماء والأرقام للفساد الاقتصادي الذي قادته الحكومة مما أضاع فرصة تاريخية لسوريا للتحول إلى قوىً اقتصادية حقيقية.

الأعاصير الخفية:

يعتبر هذا الفصل من الكتاب من أكثر الفصول إثارة، ويحتوي على معلومات قد تعتبر جديدة للقارئ السوري، (مطار هيثرو في لندن، وقضية الهنداوي، قضية إيران كونترا، ودور الأسد الرئيسي في فضح التعامل الإيراني الإسرائيلي في الحرب ضد العراق عن طريق تسريب المعلومات لصحيفة لبنانية موالية ويشرح بها الإدارة الأمريكية وإسرائيل وإيران حليفه التقليدي).

بيان حساب:

نترك للقارئ بيان حساب عن حكم الأسد بعيداً عن ذاكرة باتريك سيل.

الكتاب والمؤلف:

الكتاب من ترجمة المؤسسة العامة للدراسات والنشر والتوزيع.
تنقيح النسخة العربي: د. رنا قباني

باتريك سيل:

صحفي وكاتب بريطاني متخصص بقضايا الشرق الأوسط قابل أكثر الشخصيات الفاعلة فيه وكان له عدد من المؤلفات:
الصراع على سوريا 1965
الثورة الفرنسية 1968
الطريق إلى موسكو 1973
الأسد والصراع على سوريا 1988
أبو نضال بندقية بلا هوية 1992
النضال لاستقلال العرب رياض الصلح وصانعو الشرق الأوسط الحديث 2010
له مقالات شبه دائمة في أغلب الصحف العربية.
حصل على درجتي الماجستير والدكتوراه في جامعة أوكسفورد.

الجيشِ الحر في اللجاة: السلاح هو خيارنا بالإستمرار ترافقاً مع المظاهرات لأن العالم بأكمله قد تخلى عنا

بالنهاية نحن أصحاب قضية ندافع عنها وهذه المعركة أخلاقية بالنسبة لنا

■ أجرى اللقاء غسان فارس

تنتشر كتائب الجيش الحر في مختلف أنحاء سورية، حيث تقوم هذه الكتائب بعمليات نوعية ضد قوات الأمن والشبيحة من جهة ومن جهة أخرى تقوم بحماية المظاهرات السلمية. وفي محاولة لمعرفة طبيعة هذه الكتائب قامت جريدة سوريتنا بزيارة منطقة اللجاة حيث قامت بلقاء منسق ومسؤول الدعم اللوجستي لكتيبة العمري أبو الوليد، حيث كان الحوار التالي.

| بداية ما هو تعداد الجيش الحر المنتشر في منطقة اللجاة؟ وهل جميع أفراده من العسكريين أم هنالك مدنيين انخرطوا في صفوفه؟

| | يبلغ عدد أفراد الجيش الحر المنتشر في منطقة اللجاة ما يقارب الـ 200 عسكري جميعهم من المنشقين وهم تحت قيادة النقيب قيس القطاعنة. شكلوا كتيبة العمري، وهم مقسمون على شكل سرايا يصل عددها إلى 10 أفراد متوازعين في أماكن مختلفة لأسباب لوجستية وأمنية.

| ماذا عن النقيب قيس، أين كان يخدم ومتى انشق عن الجيش النظامي؟

| | النقيب قيس من أوائل الظباط المنشقين. انشق أوائل نيسان / الشهر الرابع. وكان يخدم في الفرقة التاسعة في الصنمين. ذهب إلى الأردن عن طريق التسلل عبر الحدود لتأمين الدعم المادي واللوجستي وعندما أدرك أنه لا فائدة من هذه المحاولات عاد إلى سوريا وأسس كتيبة العمري وهو مستقر حالياً في منطقة اللجاة مع كتيبته.

| ما هو العتاد العسكري المتوافر لدى أفراد كتيبة العمري؟

| | السلاح الفردي الذي كان موجوداً معهم أثناء انشقاقهم، لأنه لا وجود لدعم منظم وثابت للجيش الحر، وذلك لصعوبة التواصل مع أفراد الجيش الحر ولضعف القيادة في تركيا، حيث أن قائد الجيش الحر رياض الأسعد عجز عن بناء هذه المؤسسة كما عجز عن القيام بالتنسيق الجيد بين القيادة هناك والقاعدة على الأرض.

| ماهي طبيعة العمليات التي يقوم بها الجيش الحر في تلك المناطق؟

| | إن طبيعة الجيش الحر وتعداده لا تسمح له بالقيام بعمليات هجومية إنما تقتصر عملياته على حماية المظاهرات السلمية والقيام بالكمائن لحافلات الأمن والشبيحة.

| هذا يعني أن التخطيط للعمليات يتم على الأرض دون التواصل مع تلك القيادة في تركيا؟ أنتم تقومون بتكتيكات عسكرية دون وجود لخطط استراتيجية؟

| | حقيقة هذا هو الواقع. إن التخطيط يتم على الأرض، ولا وجود لخطط استراتيجية على المدى البعيد إلى هذه اللحظة. كل ما أسلفت ذكره حول العتاد والدعم وصعوبة التواصل يفضي إلى هذه الحقيقة.

| هل تشكل القرارات السياسية لقيادة الجيش الحر في تركيا أي عبء على الكتائب العاملة على الأرض؟

| | أحياناً تشكل هذه القرارات عبئاً علينا. عندما قامت قيادة الجيش الحر بإعلان التوقف عن العمليات العسكرية قمنا بالالتزام بهذا القرار مع عدم رضانا عنه، بسبب عدم قناعتنا بهذه اللجنة ولعلمنا أن الأمر لا يتجاوز المماطلة التي يحترفها النظام وما هي إلا عملية لكسب الوقت.

| هناك رأي لدى العديد من الناشطين والسياسين بأن عسكرة الثورة سيؤدي إلى فشلها وأنها ستحيد الثورة عن مساراتها، حيث أنها طرحت منذ البداية شعار السلمية؟

| | جميعنا كنا مؤمنين بخيار السلمية. لقد استمرت ثورتنا الباسلة والمجيدة ما يقارب 10 أشهر وهي تنادي بخيار السلمية وهي مازالت تقمع بأقسى وأبشع الوسائل. إننا نرى أن السلاح هو خيارنا بالاستمرار ترافقاً مع المظاهرات لأن العالم بأكمله قد تخلى عنا. ومن ثم إن النظام هو من دفع نحو عسكرة الثورة وبالنهاية إن استخدام السلاح في الثورات لا يعد خطيئة أو مقتلاً. إننا نريد الدفاع عن أنفسنا نحن العسكر الذين دفعنا في البداية لمقاتلة أهلنا وأخوتنا وذبحهم ومن ثم نحن نريد استبدال هذا النظام الدموي بنظام ديمقراطي يفضي إلى دولة مدنية نكون فيها جميعاً متساوين بالحقوق والواجبات.

| لكن النظام على ما يبدو هو الأقدر على خوض هذه المعركة. إن الجيش مازال متماسكاً كما أن لديه خبرة سابقة في التعامل مع الجماعات المسلحة بغض النظر عن تسميتها؟

| | إننا ننتمي إلى هذه المؤسسة ونعرف أن النظام أصبح من الداخل هشاً وفارغاً، كما أن عناصر النظام الذين يزج بهم في هذه المعركة لا يدافعون عن قضية وإنما هم مجبرون على هذه المعركة. بالنهاية نحن أصحاب قضية ندافع عنها وهذه المعركة أخلاقية بالنسبة لنا. وقد استخدم النظام حتى الآن كل قوته، فهل توقفت الثورة؟ هل قضى على الجيش الحر؟

| هل ثمة تنسيق مع كتائب الجيش الحر في بقية المناطق في سوريا؟

| | نعم، هنالك اتصال مع كتيبة الفاروق المتواجدة في بابا عمرو بقيادة الملازم عبد الرزاق طلاس.

| ما هي طبيعة هذا التنسيق وكيف يتم ذلك؟

| | إعذرني لا يمكن الإفصاح عن هذه المعلومات بسبب سريتها.

| هل هنالك ما تريد إضافته في نهاية اللقاء؟

| | نحن نوجه رسالة إلى جميع الثوار والأحرار في سورية ولقيادة الجيش الحر في تركيا بضرورة تأمين الدعم لأفراد وضباط الجيش الحر العاملين على الأرض، لهؤلاء الأشراف الذين حافظوا على شرفهم العسكري ورفضوا إطلاق الرصاص على أبناء شعبهم وقدموا حياتهم وحياة أسرهم من أجل كرامة وعزة هذا البلد.

| جريدة سوريتنا تشكركم لهذا الوقت الذي أتحتموه لنا

| | ونحن نشكر جريدة سوريتنا لاهتمامها ولمخاطرتها للوصول إلينا وإسماع صوتنا.

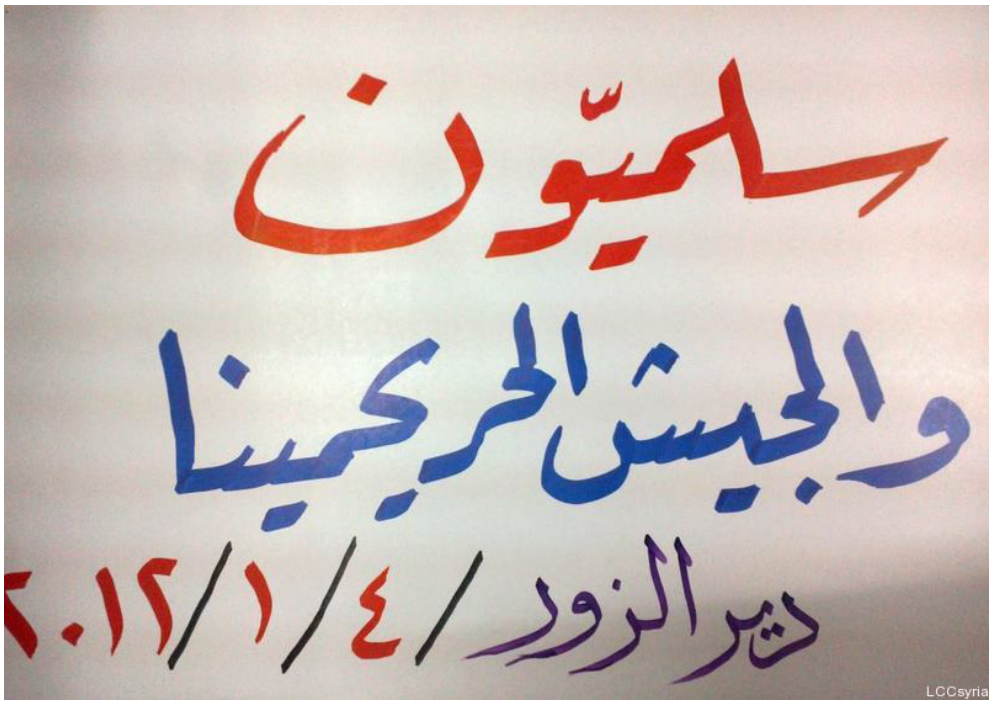

رسالة إلى بلدي..!!!

■ شام داوود

هل فكرت بي اليوم...
هل اشتقت لي...
هل تعلم أنني ورغم هدوء يوم الأحد غاضبة منهم...
ومستاءة جداً...وأن لا مكان للحزن اليوم عندي
ولا للشفقة.. أو التنهد أو التأسف
وأنه لا مكان عندي اليوم..... للحب؟؟؟
وأن كرهي بلغ حداً لا أجد منه مفراً سوى الكتابة عنهم
سوى رسم بشاعتهم بدل رسم الجمال
سوى توثيق عهرهم بدل توثيق تراثهم
سوى تسجيل كذبهم المفضوح على صفحات الورق بدل قصائدهم العذبة
* * *
وهل تعلم....
انني وفي هذه اللحظة
اكتب وكأنك تقرأني
* * *
ربيع باريس على الأبواب...
أما ربيع عصري فلم يزل متلكأ وراء الأبواب
* * *
فموسم عصر العنب لم يحن بعد
ونحل العسل ما يزال في سباته الشتوي
وباب العطر....موصد بقفل صدأ
يقبع منتظراً...
ثورة العصافير

5 نيسان 2005

سـوريا بـدّها حـرية

■ سناء الجاك

غابت هوية ضحايا الانفجارات التي استهدفت مراكز مخابرات سورية في دمشق، وغاب ذوو الضحايا في الاحتفالات الرسمية المجهزة غبّ الطلب، كأن إعدادها وتدابيرها سبقت وقوع الانفجارات، لتكتفي الكاميرات الرسمية بتصوير عابر لقلة قليلة بكى أفرادها مرتين، مرة حرقة على المظلومين المزهقة أرواحهم، ومرة ثانية لإرغامهم على المشاركة في الاحتفال كأنهم بذلك يمنحون القتلة صكّ براءة.

التحقيق وعرض محتوى أفلام الكاميرات التي ترصد الأمكنة المستهدفة ورفع الأدلة والبصمات وفحص الحمض النووي للضحايا، عناصر سجِّلت بدورها في خانة الغياب. وحدها التهمة كانت حاضرة بمعزل عن الحجة والبرهان، ولا عجب في ذلك، فالنظام السوري دون سواه يتميز بقدرته على كشف قيام المظلوم احمد أبو عدس عند كل استحقاق بعدد من التفجيرات الانتحارية الناجحة. النظام السوري دون سواه مكشوف عن بصيرته ويضع كل منجّمي التلفزيونات في جيبه، يقرأ في فنجانه ثم يوزع المهام، فيطير حمامه الزاجل في عتمة الليل وينقل الرسالة إلى "غصن بان" منتسب إلى التوليفة الحكومية المحسوبة على لبنان، ليمنحه القدرة على التبصير في موسم الأعياد بعدما كان قد صام دهراً، فينطق ويتحفنا بمعلومة تفيد أن عناصر "القاعدة" انقلبوا على سياسة الخلايا النائمة وراحوا يتبخترون جهاراً نهاراً في عرسال تحت أنظار جيش غصن البان. وعلى عينك يا تاجر يشدّون الرحال إلى حيث يتبخر الذباب الأزرق ويخترقون حرمة المخابرات وينتحرون... ثم يعودون غانمين سالمين مغتبطين إلى قلعة الإرهاب الجديدة بعد انحسار مكانة تورا بورا وبوت آباد.

وفي حين تحفّظ غصن البان عن مصادره، وهذا حقه، كما قالوا، إلا أن الحمام الزاجل كشف المستور على أثير الشاشات الممانعة، ليدعم بالحجة واليقين وجود "القاعدة" في لبنان، وهي إذا وُجدت فمعروف منبعها ومغذّيها وموزعها، في لبنان والعراق، قبل دخولها إلى السوق الشامية المحلية. النظام معذور، فهو مشغول بالمؤامرة التي يلفّقها للعالم. يكاد يقطع أنفاسه بين تفجيرات الداخل والخارج. وما الحلقات التي عُرضت إلا نموذج من النماذج التي رأينا وسنرى في القريب العاجل، سواء في بغداد أو باب توما أو باب إدريس أو ساحلي كسروان والمتن.

على كل حال، الانفجارات التي أريدت لها وظيفة معينة، ترافقت وعمل بعثة المراقبين المنبثقة من الجامعة العربية. وفي حين كان سيناريو وزير خارجية النظام السوري وليد المعلم خلال مؤتمره الصحافي الأخير يشكو علة الإخراج السيئ،على ما أوضح لاحقاً، جاء سيناريو نائبه فيصل المقداد ومعه رستم غزالي من مكان الانفجار الأول أفضل إخراجاً، على اعتبار أن الحدث "لايف" على طريقة "تلفزيون الواقع"، ليسقط في هفوات تقنية مع الانفجار الثالث، بوجود كاميرات التلفزيون السوري قبل سماع دويه. إلا أن المستوى لا يزال يتأرجح بين حسن الإمام ومحمد سلمان، مع افتقاد خفة ظل فريال كريم وأنوثة هند رستم وشهامة فريد شوقي ورجولة رشدي أباظة، لتبقى للمشاهدين ركاكة الأسلوب والموضوع.

تكرار السيناريو وإن اختلف الإخراج يدل على محدودية الرؤية مع اجترار مقولة الصراع بين مشروعين، والاستعانة بوثائق إيديولوجية قائمة على الشعارات والخرافات والأساطير، واستخدام التاريخ استنسابياً لتكريس نظرية الظلم اللاحقة بمحور الممانعة من إيران إلى العراق فسوريا لتحط رحالها في لبنان، والتي تواجه المؤامرة بوهم "الجهاد لإبادة الأكثرية العميلة أو السلفية الإرهابية، ما يسمح لها بأن تبرهن للمراقبين أن الداخل السوري ليس المكان المناسب لعملهم، فالريح تأتي من شبابيك التدخل الخارجي. لكن الخارج الذي يعمل النظام على إرباكه وإغراقه بتفاصيل دموية لن يقوده إلى درب خلاصه مهما حاول الإفادة إلى أقصى حد من عامل الزمن والمراوغة، فالحل ليس في إرهاق هذا الخارج ليحل عنه ويتركه يقتل شعبه. وعلى رغم اقتلاع حنجرة إبراهيم قاشوش، وكسر يدي علي فرزات واقتلاع أظفار أطفال درعا، فالشعوب لا تموت. ومهما برع النظام الأسدي في عرقلة عمل لجنة المراقبة العربية بحيث لا تراقب إلا ما يراد لها أن تراقبه، فلن يتمكن من اقتلاع حنجرة الشعب الذي يواجه جرائمه باللحم الحي. سواء رضي الطغاة بذلك أم رفضوا، فجّروا أنابيب نفطهم ومقار مخابراتهم وأغلقوا النعوش على جثث مجهولة الهوية، فإن المعادلة لا تزال هي هي: الشعوب لا تموت... وسوريا بدّها حرية.

الملحق | جريدة النهار | 14 / 1 / 2012

شهداء سورية

مجموع الشهداء (6224)

دمشق: 137
ريف دمشق: 509
حمص: 2136
حلب: 117
حماه: 915
اللاذقية: 287
طرطوس: 147
درعا: 779
دير الزور: 235
الحسكة: 51
القنيطرة: 6
الرقة: 25
ادلب: 777
السويداء: 34

1204 عدد العسكريين
5020 عدد المدنيين
152 عدد الإناث
5655 عدد الذكور
80 عدد الأطفال الإناث
337 عدد الأطفال الذكور

المصدر: مركز توثيق الانتهاكات في سوريا 14 / 1 / 2012